

بمحنة التأليف والترجمة والنشر

---

# أَبُو الْعَبَّاسِ الْأَمْعَرِيُّ

نسبه وأخباره .

شعره .

معتقده .

تأليف

المرحوم أحمد تيمور باشا

القاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٣٥٩ هـ - ١٩٤٠ م

بجته التأليف والترجمة والنشر

---

# أَبُو الْعَبَّاسِ الْمَعْرِيّ

نسبه وأخباره .

شعره .

معتقده .

تأليف

المرحوم أحمد تيمور باشا

القاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٣٥٩ هـ - ١٩٤٠ م



## بيان

كان الظن أن المؤلف ، طيب الله ثراه ، قد استوفى هذا الكتاب تأليفاً وإعداداً ؛ وأنه قد فرغ من جمع المواد ، وتمييز الأقسام ، وتبيين الفصول ، ومراجعة العبارة . ولكن وردت في أضعاف الكتاب إشارات وعلامات تصرف هذا الظن .

من ذلك أنه جعل لقسم من الكتاب عنواناً هو : (شعره وثره) وما يكون للمؤلف أن يهمل جانب الثمر من آثار المترجم له ؛ إلا أن فصول هذا القسم خالية كلها من حديث الثر كله . فالحتم أنه عقد العزم على أن يكبر بعض فصول عليه .

ومن ذلك أنه بنى فصلاً (المكرر من معانيه) وقد وُجد مكتوباً في ورق قصير من غير جنس الورق الذي كتب فيه سائر الكتاب ، وفي إحدى صفحاته جملة مستقلة يُفهم موضوعها أن المؤلف صاغها ليهدبها لهذا الفصل ؛ وهذا المظهر يشهد بأن هذا الورق مسودة أقيمت للزيادة عليها ، والتغيير فيها . فإذا لوحظ إلى هذا أن الفصل قليل ضئيل مع سعة الموضوع وتشعبه ، وأن الأبيات المستشهد بها

حُلِّمها من غير شعر اللزوم ؛ قام اليقين بأن المؤلف كان مقدراً إكمال موضوعه فيما بعد ، وتبييضه في ورق مماثل لورق بقية الفصول ؛ جرياً على سنته في إخراج هذا الكتاب .

ومن ذلك أنه عند الحديث في ( معتقده ) ساق حكاية أبيات من قصيدة ، ثم قال : « وسأوردها بتمامها عند الكلام على منظومه ، فإنها من شعره المفقود » ، ولم ترد هذه الأبيات الموعود بها في ثنايا الكتاب . فإن استُخبر مُفاد هذه الجملة ، أعطى أنه كان ينبغي إنشاء فصل لهذا النوع ، يجعله في جملة فصول القسم الذي عنوانه : ( شعره واثره ) . ومن ذلك أنه قال في خاتمة الفصول الموجودة من هذا الكتاب : « ... بدليل ما ذكرناه من الكلام وما سنذكره » ، وواضح أن هذه كلمة من لم يقض مأربه من القول بعد .

يضاف إلى هذه جميعاً أن حواشي الأوراق حافلة بألوان من الزيادة والإبدال والإصلاح ، مما يدع الرأي مطمئناً إلى أن النسخة كانت في حياة المؤلف لا تزال بين يديه : يراجع فيها تسريح الناظر ، وإجراء الخاطر ، وإعمال القلم .

على أنه ربما يكون قد أُجِّل معاودة الكتاب إلى فرصة لم تسنح ، وأولاه مهلة اتصلت بانتقاله إلى جوار ربه ؛ فإنه لما عرّف بكتاب

الفصول والغايات ، في فصل (مؤلفاته) ؛ اقتصر على بيان طريقته وموضوعه ، فما أشار المؤلف إلى حصوله على مخطوطة الجزء الأول من هذا الكتاب النادر ؛ ولهذه الإشارة شأنها ، إذ هي إعلام بمكان تحفة كانت مفقودة ، ووجدان ضالة ظلت منشودة . ومن سبيل المؤلف في كتابه هذا أنه ما تعرض مناسبة كتاب غير مشهور ، أو أثر عزيز الوجود ؛ إلا هدى إلى مخبئه ، وعرف بنسخته ، ولم يفته أن يذكر حصوله عليه إن كان . وما دام هذا صنيعه في الكتب العارضة ، فمثل هذا الصنيع في كتب المترجم له أولى وأحق . وإذا فلا بد أن يكون المؤلف قد وادع مخطوطة الكتاب قبل أن يحصل على نسخة الفصول والغايات ، ثم لم يعاوده حتى لبي نداء ربه خالد الذكر ، حميد الأثر .

## مشمولات الكتاب

### نسبه وأخباره

|    |                                    |
|----|------------------------------------|
| ٣  | فصل في نسبه .....                  |
| ٧  | » » بيته .....                     |
| ١٠ | » » مولده ووفاته وحليته .....      |
| ١٦ | » » نشأته وطلبه العلم ورحلته ..... |
| ١٩ | » » تلاميذه .....                  |
| ٢٢ | » » مبلغ علمه وذكائه .....         |
| ٦٠ | » » مؤلفاته .....                  |
| ٧٨ | » » تروته وزهده .....              |
| ٨٤ | » » بقية أخباره .....              |

### شعره

|     |   |
|-----|---|
| ٩٩  | فصل في المكرر في معانيه .....           |
| ١٠٣ | » » سرقاته .....                        |
| ١١٧ | » » مآخذ الشعراء من شعره .....          |
| ١٢١ | » » مقارنة بعض معانيه بمعاني غيره ..... |

### معتقده

|     |                                     |
|-----|-------------------------------------|
| ١٢٥ | فصل في اختلافهم فيه .....           |
| ١٣٨ | » » معتقده في الله .....            |
| ١٥٦ | » » معتقده في النبوات والرسول ..... |

# نب وأخباره

فصل في نسبه .

» » بيته .

» » مولده ووفاته وحليته .

» » نشأته وطلبه العلم ورحلته .

» » تلاميذه .

» » مبلغ علمه وذكائه .

» » مؤلفاته .

» » ثروته وزهده .

» » بقية أخباره .





## فصل في نسبه

هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن داود بن المطهر بن زياد بن ربيعة بن الحرث بن ربيعة بن أنور بن أسحم بن أرقم بن الثُّعْمَان بن عدي بن غطفان بن عمرو بن بريح بن خزيمة بن تميم الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة الثَّنُوخِيُّ المَعَرِّيُّ. وهكذا ساق نسبه ابن خلكان ، وهو أوضح ما وجدناه بالمعارضة على ما في كتب الأنساب ؛ فإن فيما ذكره ياقوت في « إرشاد الأريب » إسقاطاً لبعض الأسماء ، واضطراباً في ترتيب بعضها ، فاعتمدنا على رواية ابن خلكان بعد تصحيح ما حُرِّف منها ، فإن خزيمة بن تميم الله جاء في النسخة المطبوعة ببولاق : جذيمة بالجيم والذال المعجمة ، وما نُصِّرَ عليه في كتب اللغة والأنساب خزيمة بالخاء والزاي مُصَغَّرًا . وتيم الله بن أسد هكذا في جميع ما وقفنا عليه من الكتب ، وجاء به أبو العلاء في سقط الزند تيم اللات ، في قوله :

سألته قبل يوم السير مَبْعَثُهُ إليك ديوان تيم اللات ما لَيْتَا

وقد يكون هذا تحريفاً في النسخة ، إلا أن مَنْ خَبَرَ شعر أبي العلاء ، ومذهبه في تكلفه الصناعة والتجنيس ، رجح أنه ما أتى بقوله ما لَيْتَ ، أي ما نُقِصَ ، بعد قوله اللات ، إلا إرادة للتجنيس . والله أعلم . وقد يذهب الظن إلى أن تيم اللات هذا ربما كان غير تيم الله المذكور مقدماً ، وهو مردود بما ذكره الشارح في سياق نسبه عند شرح البيت . على أن فيما ذكره ابن خلكان ما لا يسكت عنه أيضاً ، وما نقلناه عنه هو ما وجدناه في النسخة المطبوعة ببولاق ، والنسخة المطبوعة بباريس . ونقل ابن الوردي في تاريخه عبارة ابن خلكان ، فأسقط

أحمد بن سليمان من سلسلة النسب ، ويوافق ما في « الكوكب الثاقب » لعبد القادر ابن عبد الرحمن السكّوي ، إلا أنه أسقط محمد بن سليمان بدل أحمد . وعلى كل حال فالظاهر أن ما ورد في ابن خلكان فيه زيادة اسمين ربما سبق بهما قلم الناسخ .  
 وجدّه الأعلى قُضَاعَة بن مالك أبو حَيٍّ من اليمن ينتهي نسبه إلى قَحْطَان ، هذا هو المشهور . وزعم نَسَاب مُضَر أنه قضاة بن مَعَد بن عدنان ، وأن مالِكا زوج أمّه ، والنسب إلى زوج الأم عادة معروفة عند العرب ، ولعلماء الأنساب في ذلك اختلاف كثير ، ولهذا قال محمد بن سلام البصري النَّسَابَة لَمَّا سئل : أنزَار أكثر أم اليَمَن ؟ فقال : إن تعددت قضاة فنزار أكثر ، وإن تيمنت فاليمَن . وعلى القول الأول قول بعضهم :

قُضَاعَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ حَمِيرٍ      النَّسَبُ الْمَعْرُوفُ غَيْرُ الْمُنْكَرِ  
 وعلى القول الثاني قول الكُمَيْتِ الْأَسَدِيِّ يخاطب قضاة :

فَأِنَّكَ وَالتَّحَوُّلَ عَنْ مَعَدٍ      كَحَالِيَةٍ تَزَيْنُ بِالْمُطُولِ  
 تُغَايِظُ بِالتَّعْطُلِ جَارَتِهَا      وَبِالْأَحْمَاءِ تَبْدَأُ وَالْحَلِيلِ  
 فَمَهْلًا يَا قُضَاعَةُ لَا تَكُونِي      كَقِدْحِ خَرٍّ بَيْنَ يَدَيِ مُجِيلِ  
 وَمَا مِنْ تَهْتِفِينَ بِهِ لِنَصْرِ      بِأَقْرَبِ جَابَةِ لَكَ مِنْ هَدِيلِ

وسُمِّي قُضَاعَة لانقضاءه عن قومه مع أمّه ، أي انقطاعه عنهم ؛ أو من قضيته ، أي قهره . وقيل بل هو اسم منقول ، وأصل القُضَاعَة الفَهْد .

والتَّنُوخِيّ نسبة إلى تنوخ كصبور ، وتشديد النون خطأ ؛ وهم قبيلة من اليمن من قضاة ، سُمُوا بذلك لأنهم اجتمعوا وتحالفوا ، وتنوخوا بمكان في الشام أي أقاموا فيه ، ومن الناس من يطلق تنوخ على الضَّجَاعَةِ ودوَس الذين تنوخوا بالبحرين ، والاختلاف في ذلك كثير أيضاً . ونقل عن أبي عبيد أنهم تنوخوا

على مالك بن زهير بن عمرو بن فهيم بن تميم الله بن أسد ، وعلى مالك بن فهيم  
عم مالك بن زهير . وذكر الحمداني أن المعرة من بلاد الشام هي صليبة تنوخ ،  
بمعنى أن بها جمعهم المستكثر . وفي « إرشاد الأريب » لياقوت أن تميم الله بن أسد  
هو مجتمع تنوخ من أهل معرة النعمان . وقال أبو يعقوب النخوي في شرح « سقط  
الزند » أن تميم الله هو مجتمع تنوخ في النسب ، ولم يخص أهل المعرة . ويوافقه  
ما ذكره ياقوت في معجم البلدان ، إلا أن أبا يعقوب سماه تميم اللات كما قدمنا .  
وكان شعار تنوخ في حروبهم : (واصيل ، واصيل) ، وإليه أشار أبو العلاء في  
لزومياته بقوله :

فِرٌّ من هذه البرية في الأر ض فما غير شرّها لك حاصل  
فشِعاري قاطعٌ وكان شعاراً لتَنُوخٍ في سالف الدهر واصلٌ

والشعار : العلامة في الحرب ، وفي الحديث أن شعار أصحاب رسول الله صلى  
الله عليه وسلم كان في الغزو : (يَا مَنْصُورُ أُمِّتُ أُمِّتُ) وهو تَفَاوُلٌ بالنصر بعد  
الإماتة . واستشعر القوم إذا تداعوا بالشعار في الحرب .

والمعري نسبة إلى معرة النعمان ، وهي بلدة بالشام من أعمال حمص بين  
حلب وحماة ، وليست منسوبة للنعمان بن المنذر كما توهمه بعضهم ، بل نسبت فيما  
ذكروا للنعمان بن بشير الأنصاري ، لأن ولدًا له مات وهو مجتاز بها ، فدفنه فيها  
وأقام أياماً حزيناً ، فنسبت إليه لذلك . قال ياقوت في معجم البلدان : وهذا في  
رأبي سبب ضعيف لا تسمى بمثله مدينة ، والذي أظنه أنها مسماة بالنعمان الملقب  
بالساطع . قلت : وهو النعمان بن عدى ، أحد أجداد المعري المذكورين في نسبه .  
والذي ذكره ياقوت مقبول ، فإن تسمية بلدة باسم أحد قاطنيها المشهورين فيها  
أقرب من تسميتها بأحد المجتازين بها . وذهب الشريشي في شرح المقامات إلى

أنها أضيفت لجبل مطل عليها اسمه النعمان ، ولم يذكر ياقوت هذا الجبل .

ومن شعر أبي العلاء فيمن عيّره باسم بلده :

يعيرنا لفظ المعزة أنها من العرّ قوم في العلاء غرباء  
وهل لحق الثريب سكان يثرب من الناس ، لا ، بل في الرجال غباء  
وذو نجب إن كان ما قيل صادقاً فما فيه إلا معشر نجباء  
أى إن كان اسم البلد له تأثير على ساكنيه ، على ما زعم هؤلاء الزاعمون ،  
فيلزم منه أن الثريب لاحق لسكان يثرب ، وهى مدينة الرسول عليه الصلاة  
والسلام . ويلزم منه أيضاً أن يكون سكان ذى نجب كلهم نجباء ، مع أن  
فيهم النجيب وغير النجيب كسائر سكان البلاد .

ومن شعره فى اسمه :

وأحمد سمانى كبيرى وقلماً فعلت سوى ما أستحق به الذمما  
وقال أيضاً :

رؤيدك لو كشفت ما أنا مضمر من الأمر ما سميته أبداً باسمى  
أظهر جسمى شاتياً ومقيظاً وقلبي أولى بالطهارة من جسمى  
وقال فى كنيته :

عرفتك جيداً يا أمّ دفر وما إن زلت ظلمة فزولى  
دعيت أبا العلاء وذاك مئى ولكن الصحيح أبو النزول

يقول ذلك جرياً على عادته فى الخول والتواضع .

وقد خلط بعض العصرين بين أبى العلاء المعرى ، وأبى العلاء صاعد  
اللغوى ، لاتفاقهما فى السكنية واشتعار كليهما باللغة ، فنسب المعرى كتاباً اسمه  
الفصوص فى قصة ساقها ، وإنما هو لصاعد ، وسيأتى تفصيل ذلك فى فصل مؤلفاته .

## فصل فى مقارنة بعض معانيه بمعانى غيره

قال أبو العلاء :

جهلٌ بمثلِكَ أن يزور بلادنا      يختال بين أساور و خلاخل  
أو ما رأيت الليل يلقى شهبه      حتى يجاوزها بحلة عاطل

وقال الوزير ابن زيدون :

قعيدك أنى زرت نورك واضح      وعطرك نمام وحليكَ مرجف  
هبيكَ اعتررت<sup>(١)</sup> الحى واشيك هاجع      وفرعك غريب وليك أغضف<sup>(٢)</sup>  
فكيف اعتسفت الهول خطوك مدمج      وردفك رجراج وخصرك مُحْطَفٌ<sup>(٣)</sup>

أقول : مدار المعنى فى الشعرين على التعجب من مخاطرة هذه المعشوقة فى زيارة صاحبها . فتناوله كلا الشاعرين ، وتلاعب به ، فأبرزه فى الصورة التى شاء له اقتداره إبرازه فيها ؛ وقد أجاد كل منهما فيما حاوله ، وتساويا فى الإحسان ، فلا أرى للترجيح مدخلا بينهما . ويلوح لى أن كليهما اعتمد فى توليد معناه على قول أبى الطيب :

قلق المليحة وهى مسك هتكها      ومسيرها بالليل وهى ذُكاء  
ولا يظهر ما قلته إلا بزيادة التدقيق ، وإطالة التأمل .

\*\*\*

وقال أبو العلاء :

آلَى أميرك لا يسرى الخيال لنا      إذا جمعنا فقد أسرى وما علماً  
وكم تَمَنَّتْ رجال فيك مُغْضَبَةٌ      أن يبصروه فلم يظهر لهم سَقَمًا

(١) المتر : الزائر .

(٢) الأغضف : المظلم .

(٣) المحطف : المنطوى .

« أبوه عبد الله بن سليمان » ولى القضاء بعد أخيه محمد بن سليمان ، وتوفى  
محصر سنة ٣٧٧ هـ . ومن شعره فى رثاء والده :

إن كان أصبح من أهواء مُطَرِّحاً      ييباب حمص فما حزننى بِمُطَرِّحِ  
لو بان أيسر ما أخفيه من جزع      لمات أكثر أعدائى من الفرح  
ورثى أبو العلاء والده بقصيدة نونية أولها :

نقمت الرضا حتى على ضاحك المزن      فما جادنى إلا عبوس من الدجن  
وسنورد مختارها عند الكلام على منظومه .

« أخوه أبو المجد محمد بن عبد الله بن سليمان » كان أسنَّ من أبى العلاء ،  
ومن شعره فى الزهد :

كرم المهيم من منتهى أملى      لا نيتى أجر ولا عملى  
يا مُفضِلاً جلت فواضله      عن بغيتى حتى انتهى أجلى  
كم قد أفضت على من نعم      كم قد سترت على من زلل  
إن لم يكن لى ما ألوذ به      يوم الحساب فإن عفوك لى

« أخوه أبو الهيثم عبد الواحد بن عبد الله بن سليمان » كان شاعراً كأبيه  
وأخويه أبى المجد وأبى العلاء ، ومن شعره :

قالوا نراه سلاً لأب جفونه      ضللت عشية يئبنا بدموعها  
ومن العجائب أن تفيض مدامع      نار الغرام تشب فى ينبوعها  
وله فى الشمعة :

وذات لون كلونى فى تغيّره      وأدمع كدموعى فى تحدرها  
سهرت ليلى وباتت لى مسهرة      كأن ناظرها فى قلب مسهرها

قلت : ومهما قيل في الشمعة ، فليس لقصيدة القاضي ناصح الدين الأرجاني ضريب في هذا الباب ، فقد بدَّ بها من تقدّمه وأعيان بعده ، إذ يقول :

|  |  |
|--|--|
| كَمَّتْ بِأَسْرَارِ-إِيل كَاد يُخْفِيهَا         | وَأُطْلَعَتْ قَائِمًا لِلنَّاسِ مِنْ فِيهَا      |
| سَفِيهَةٌ لَمْ يَزَلْ طَوَّلَ اللِّسَانُ لَهَا   | فِي الْحَيِّ يَجْنِي عَلَيْهَا ضَرْبَ هَادِيهَا  |
| غَرِيقَةٌ فِي دَمُوعٍ وَهِيَ تَحْرِقُهَا         | أَنْفَاسُهَا بِدَوَامٍ مِنْ تَلْظِيهَا           |
| تَنْفَسَتْ نَفْسَ الْمَهْجُورَةِ إِذْ كَرَّتْ    | عَهْدَ الْخَلِيطِ فَبَاتَ الْوَجْدُ يُبْسِكِيهَا |
| يُخْشَى عَلَيْهَا الرَّدَى مَهْمَا أَلَمَّ بِهَا | نَسِيمُ رِيحٍ إِذَا وَافَى يُحْيِيهَا            |
| كَأَنَّهَا غُرَّةٌ قَدْ سَالَ شَارِخُهَا         | فِي وَجْهِهِ دَهْمَاءُ يَزُهَاهَا تَجْلِيهَا     |
| أَوْ ضَرَّةٌ خَلَقَتْ لِلشَّمْسِ حَاسِدَةٌ       | فَكَلِمًا حُجِبَتْ قَامَتْ تَحَاكِهَا            |
| لَهَا غَرَائِبُ تَبْدُو مِنْ مَحَاسِنِهَا        | إِذَا تَفَكَّرْتَ يَوْمًا فِي مَعَانِيهَا        |
| فَالْوَجْنةُ الْوَرْدُ إِلَّا فِي تَنَاوُلِهَا   | وَالْقَائِمَةُ الْغَصَنُ إِلَّا فِي تَثْقِيهَا   |
| صُفْرُهُ غَلَاثِلُهَا حُمْرُهُ عِمَامُهَا        | سُودَ ذَوَائِبِهَا بَيَضَ لَيَالِيهَا            |
| تَحْيِي اللَّيَالِي نَوْرًا وَهِيَ تَقْتُلُهَا   | بُئْسَ الْجَزَاءُ لَعَمْرُ اللَّهِ تَجْزِيهَا    |

ولولا خوف الإطالة لذكرتها بتمامها لغرابتها .

وأتى بعد أبي العلاء جماعة ذكر منهم ياقوت ثمانية أسماء ، وأضرب عن ذكر غيرهم اختصاراً ، وغالبهم تولوا القضاء بالمعرة ، وكفرطاب ، وحماة . ومنهم من تولى ديوان الإنشاء .

وإنما تركت ذكرهم لما قدمت من تحريف أسمائهم في النسخة .



## فصل فى مولده ووفاته وحليته

ولد يوم الجمعة عند مغيب الشمس، لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة ٣٦٣ . وعي بالجدري أول سنة ٣٦٧ . غشى عينيهِ بياض ، وذهبت البصيرة ، حمأة . وكان يقول : لا أعرف من الألوان إلا الأحمر ، لأنهم ألبسونى حين جدت ثوباً معصفاً ؛ لا أعقل غير ذلك . وقال فى إحدى رسائله إلى داعى الدعاة : (وقد علم الله أن سمى ثقيل ، وبصرى عن الإبصار كليل ، قضى على وأنا ابن أربع ، لا أفرق بين البازل<sup>(١)</sup> والرُّبْع<sup>(٢)</sup>) فلا وجه إذا لمن زعم أنه ولد أكمه .

وحكى السُّلَفي عن أبى محمد الإيادى أنه دخل مع عمه على أبى العلاء يزوره ، فرآه قاعداً على سجادة لبْدٍ وهو شيخ . قال : فدعاني ومسح على رأسى ، وكنت صمياً ، وكأننى أنظر إليه الساعة وإلى عينيهِ إحداها بارزة والأخرى غائرة جداً ، وهو مجلدر الوجه ، نحيف الجسم .

ونقل الثعالبي عن المصيصى الشاعر ، قال : رأيت بمَعْرَةَ النعمان عجيباً من العجب ، رأيت أعمى شاعراً ظريفاً يلعب بالشطرنج والنرد ، ويدخل فى كل فن من الجدل والهزل ، يكنى أبا العلاء ، وسمعته يقول : أنا أحمد الله على العمى ، كما يحمد غيره على البصر . انتهى .

وقال الشيخ عبد الغنى النابلسى فى رحلته الكبرى المسماة بالحقيقة والحجاز ،

---

(١) البازل من الجمال الذى بلغ تسع سنين ، وليس بعده سن تسمى .  
(٢) والربع كصرد الفصيل ينتج فى الربيع وهو أول النتاج ، فإذا نتج فى آخر النتاج فهو جمع ، ومراد أبى العلاء : لا أفرق بين الكبير والصغير .

في رحلة الشام ومصر والحجاز ، عند كلامه على القدس وما فيها : « ودخلنا إلى المدرسة المسماة بالفخرية ، وهي في غاية من الحسن والإتقان ، وكال البهاء وجمال البنيان ، وفيها جملة من الكتب ، ورأينا فيها ديوان أبي العلاء المعري وشرحه ، ورأينا هناك مكتوباً له هذين البيتين ، وهما قوله :

قالوا العمى منظر قبيح      قلت بفقدى لكم يهون  
والله ما في الأنام شيء      تأسى على فقداه العيون

ويناسبه قوله أيضاً :

أبا العلاء يا ابن سليمان      إن العمى أولاك إحسانا  
لو أبصرت عيناك هذا الوري      ما أبصرت عيناك إنسانا »

انتهى كلام الشيخ . والبيتان الأولان اختلفوا في قائلهما ، فنسبهما الصفدي في شرح لامية العجم ج ٢ ص ٢٨٤ لأبي العلاء كما ذكر الشيخ ، ولكن روايته ( ما في الوجود ) بدل ( ما في الأنام ) .

ونسبهما الشريشي في شرح المقامات لبشار بن برد ، وروايته ( ما في البلاد ) ، ونسبهما الطواط ( في النور والعرر ص ١٦١ ) لأبي العلاء ، وروايته ( والله ما في الأنام حر ) والله أعلم .

والبيتان الآخران لم أجدهما في شعر أبي العلاء ، ولعلهما من شعره المفقود . فإن قيل : كيف كان يحمد الله على العمى ، وهو القائل في عكسه يتمنى الإبصار :

قلت الليالي ساحتني بناظر      يراك ومن لي بالضحي في الأصائل  
فلو أن عيني ممتعتها بنظرة      إليك الأمانى ما حلت بغائل

قلنا : ليس هذا من التناقض في شيء ، ولكل مقام مقال ؛ لأنه أبان في الأول عن مذهبه ورأيه في الوجود ، وجرى في الثاني على طريقة الشعراء في مدائحهم ؛

إذ كان المقام يقتضيه . ومن هذا تعلم فرق ما بين شعريه في سقط الزند والازوميات ،  
لاختلاف المقامين وتباين الوجهتين . وإن صححت نسبة البيتين السابقين لأبي العيناء  
كما ذكر الوطواط ، فقد جرى على مثل هذا أيضاً في قوله للمتوكل وقد سأله عن  
أصعب ما مر عليه في فقد بصره ، فقال له : فقدى لرؤيتك يا أمير المؤمنين .

ومن قول أبي العلاء في عماء ، وهو مما رواه له الصفدي :

سواد العين زار سواد قلبي ليتفقاً على فهم الأمور  
يشير بذلك إلى أن العميان عوّضوا عن البصر الذكاء وسرعة الخفظ ، وقريب  
منه ما ينسب لسيدنا عبد الله بن عباس ، وكان أصيب في بصره في آخر عمره :  
إن يأخذ الله من عيني نورها ففي قوادي وقلبي منهما نور  
قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل وفي فمي صارم بالقول مشهور  
وغاية الغايات في هذا الباب قول بشار بن برد فيمن عيّر بالعمى ، وإن كان  
من غير هذا المعنى :

وعيرني الأعداء والعيب فيهم وليس بعار أن يقال ضرير  
إذا أبصر المرء المروءة والتقى فإن عمى العينين ليس بضير  
رأيت العمى أجراً وذخراً وعصمة وإني إلى تلك الثلاث فقير  
ومن طرائف أبي العلاء أنه لما فرغ من تصنيف كتابه اللامع العزيزي في  
شرح ديوان المتنبي ، وقرئ عليه ، أخذ الجماعة في وصفه ، فقال : كأنما نظر  
المتنبي إلى بلحظ الغيب حيث يقول :

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي واسمعت كلماتي من به صمم  
وكان أبو حزم مكّي بن ريان المقرئ الضرير الملقب بصائن الدين يتعصب  
لأبي العلاء ، ويضطرب إذا قرئ عليه شعره للجامع بينهما من العمى والأدب ،

فسلكت مسلكه في النظم . كذا ذكر ابن خذكان نقلاً عن ابن المستوفى .  
وتوفي رحمه الله يوم الجمعة ، ثالث ، وقيل ثاني ، وقيل ثالث عشر ربيع  
الأول سنة ٤٤٩ هـ بالمعرة ، في خلافة القائم العباسي ، وله من العمر نحو ست  
وثمانين سنة ، ومرض ثلاثة أيام ، ولم يكن عنده غير بنى عمه ، فقال لهم في اليوم  
الثالث : اكتبوا عني ، فتناولوا الشوى والأقلام ، فأملى عليهم غير الصواب ، فقال  
لهم القاضي أبو محمد عبد الله التتويحي : أحسن الله عزاءكم في الشيخ فإنه ميت .  
فمات من غده ، ودفن في ساحة من دور أهله . قال القفطي : أتيت قبره سنة  
خمس مائة وست مائة ، فإذا هو في بحاجة من دور أهله وعليه باب ، فدخلت فإذا القبر  
لا احتفال به ، ورأيت عليه خبازي يابسة ، والموضع على غاية ما يكون من الشعث  
والإهمال . وقال الذهبي وقد رأيت قبره بعد مائة سنة من رؤية القفطي ، فرأيت  
نحو ما حكى . انتهى . ويقال إنه أوصى أن يكتب عليه

هذا جناه انى على وما جنيت على أحد

ونقل الصفدي عن خط علاء الدين الوداعي قال : زرت قبره بالمعرة رحمه الله  
تعالى في ربيع الأول سنة تسع وسبعين وست مائة ، ولم أر عليه شيئاً من ذلك ، وقد  
دثر ولصق بالأرض ، وعملت هذين البيتين :

قد زرت قبر أبي العلاء المرتضى ل أتيت معرة النعمان

وسألت من غفر الخطايا أنه يهدي إليهم رسالة الغفران

قلت : وقبره معروف إلى اليوم أي سنة ١٣٢٧ بالمعرة ، ولأهلها اعتقاد

كبير فيه ، ويزعمون أن الماء إذا بيت في قارورة عند قبره ، وشربه في الغد صبي  
به حبسة في لسانه ، أو بلادة في ذهنه ، زال ذلك عنه ببركة أبي العلاء .

وممن يافوت في « إرشاد الأرباب » عن ابن الهبارية ، أن السبب في وفاة

أبي العلاء مكاتبات جرت بينه وبين أبي نصر بن أبي عمران داعي الدعاة بمصر .  
دعت إلى الأمر بإحضاره إلى حلب ، ووَعَدَهُ على الإسلام خيراً من بيت المال ،  
فلما علم أنه يحمل للقتل أو الإسلام سَمَّ نفسه فُتات . قال ياقوت : وقد ظفرت بتلك  
الرسائل ، فلم أجدها ما يدل على ما ذهب إليه ابن الهبارية . انتهى . وأقول :  
هذه الرسائل هي التي لخصها ياقوت في كتبه المذكور ، وقد ظفرت بها أنا أيضاً ،  
وهي عندي تامة في نسخة مخطوطة ، وليس فيها شيء من ذلك [ ] وبعد فأى  
إسلام كان يريد منه داعي الدعاة ، وهو رئيس الباطنية في الدولة الفاطمية ،  
والداعي إلى مذهبهم ، ونحلة القوم معروفة لا تحتاج لبيان . ومن راجع دعواتهم  
في خطط المقرئى علم كيف كانوا يأخذون الداخل في مذهبهم بتشكيكه في دينه  
أولاً ، ثم الخروج به رويداً رويداً من الإسلام ، حتى ينتهوا به إلى الإلحاد . فهل  
كان ما عليه هؤلاء القوم هو الإسلام في نظر ابن الهبارية حتى يتبجح  
بهذه الدعوى ؟

وكان رحمه الله قصير القامة ، نحيف الجسم ضعيفه ، مشوه الوجه بآثار الجدري ،  
ومنى في آخر عمره بالإقعاد ، ولما مات ختم عند قبره في أسبوع واحد مائة ختمة ،  
وفي رواية مائتان ، واجتمع عليه خلق كثير ، وأنشد أربعة وثمانون شاعراً  
مراثيهم فيه . منها قصيدة طويلة لتلميذه علي بن همام ، يقول فيها :

إن كنت لم ترق الدماء زهادة      فلقد أرقى اليوم من جفنى دما  
سيرت ذكرك في البلاد كأنه      مسك تضح منه سمعا أو فسا  
وترى الحجاج إذا أداروا ليلة      ذكراك أوجب فدية من أحراما  
قال ياقوت : كأنه يقول إن ذكرك طيب والطيب لا يحل للمُحرم ، فتعجب  
عليه فدية . ورثاه أبو الرضى عبد الرحمن بن نوت المعري بقصيدة نذكر منها  
ما وقفنا عليه في « الكوكب الثاقب » لعبد القادر السَّلوى ، وهو :

سمر الرماح وبيض الهند تشتور  
 والدهر فاقد أهل العلم قاطبة  
 فهل تُرى بك دار العلم عالمة  
 والعلم بعدك علم فات منصله  
 ورثاه الأمير أبو الفتح الحسن بن عبد الله بن أبي حصينة المعري بقوله :  
 العلم بعد أبي العلاء مضيع  
 أودى وقد ملأ البلاد غرائبها  
 ما كنت أعلم وهو يودع في الثرى  
 جبل ظننت وقد تزعر ركنه  
 وعجبت أن تسمع المعرة قبره  
 لو فاضت المهجات يوم وفاته  
 تقصرم الدنيا وتأتى بعده  
 لا تجمع المال العتيد وجد به  
 وإن استطعت فسر بسيرة أحمد  
 رفض الحياة ومات قبل مماته  
 عين تسهد للعفاف وللتقى  
 شيم تجمله فهن بلحده  
 جادت ثراك أبا العلاء غمامة  
 ما ضيع الباكي عليك دموعه  
 قصدتك طلاب العلوم ولا أرى  
 مات النّهي وتعطلت أسبابه  
 في أخذ ثأرك والأقدار تعتذر  
 كأنهم بك في ذا القبر قد قبروا  
 أن قد تزعر فيهما الركن والحجر  
 والفهم بعدك قوس ما له وتر  
 والأرض خالية الجوانب بلقع  
 تسرى كما تسرى النجوم الطلّع  
 أن الثرى فيه الكواكب تودع  
 أن الجبال الراسيات تزعر  
 ويضيق بطن الأرض عنه الأوسع  
 ما استكثرت فيه فكيف الأدمع  
 أم وأنت بمثله لا تسمع  
 من قبل تركك كل شيء تجمع  
 تأمن خديعة من يغر ويخدع  
 متطوعا بأبر ما يتطوع  
 أبداً وقلب المهيمن يخشع  
 تاج ولكن بالثناء يُرصع  
 كندی يديك ومزنة لا تقلع  
 إن الدموع على سواك تضيع  
 للعالم بابا بعد بابك يقرع  
 وقضى التأدب والمكارم أجمع

## فصل فى نشأته وطلبه العلم ورحلته

نشأ بالمعرة ، وأخذ النحوى واللغة عن أبيه ، وعن محمد بن عبد الله بن سعد النجوى بحلب ، وحدث عن أبيه وجده . ثم رحل إلى بغداد ، فسمع من عبد السلام بن الحسين البصرى هكذا ذكر السيوطى فى بغية الوعاة ، قال : وقد أسندنا حديثه فى الطبقات الكبرى ، وله ذكر فى جمع الجوامع . وذكر غيره أن أبا العلاء لما قدم بغداد ، قصد أبا الحسن على بن عيسى الربعى ليأخذ عنه ، فلما أراد الدخول عليه ، قال الربعى : ليدخل الإصطبل ؛ فخرج مغضباً ولم يعد إليه . والإصطبل بلغة أهل الشام الأعمى . قلت : وهى لفظة معربة ، ذكرها الخفاجى فى شفاء الغليل ، قال : ولذا قال ابن عباد : جرّوا الإصطبل فى قصته مع المعزى . وعلل الخفاجى أراد المرتضى ، وهم فذكر ابن عباد : وستأتى القصة . وذكر أبو الفداء أنه دخل بغداد واستفاد من علمائها ، ولم يُتَلَمِّذْ لأحد أصلاً ، وهو يخالف ما ذكره السيوطى وابن خلكان وغيرهما . وكان قد رحل أولاً إلى طرابلس ، وبها خزائن كتب موقوفة ؛ فأخذ منها ما أخذ من العلم . ثم رحل إلى بغداد سنة ٣٩٨ فأقام بها سنة وسبعة أشهر ، ثم رجع إلى المعرة وأقام بها إلى وفاته . وقول ابن خلكان إنه دخل بغداد سنة ٣٩٨ ، ودخلها ثانياً سنة ٣٩٩ . وأقام بها سنة وسبعة أشهر ، لا يستقيم مع ما سيرد عليك فى فصل مؤلفاته ، من تصريحه عن نفسه أن رجوعه إلى المعرة ولزومه منزله كان سنة ٤٠٠ . وقبل قدومه إلى المعرة بمدة يسيرة ماتت أمه ، وأصيب فى مال له ، فراثاها بقصيدة ميمية طويلة ، وأخرى بائية ، وكتب إلى بغداد يخاطب صديقه وتلميذه

القاضي أبا القاسم علي بن المحسن التنوخي بقصيدة ضمنها أغراضاً يقول فيها معتذراً  
عن مفارقتة العراق :

أثارتني عنكمُ أصران والدة      لم ألقها وراء عاد مسفوتا<sup>(١)</sup>  
أحياها الله عصرَ البينِ ثم قضى      قبل الإياب إلى الذخرين أن موقا  
لولا رجاء لقائِها لما تبعت      عَنِّي دليلاً كَسِرَ الغمد إصليتها<sup>(٢)</sup>  
ولا صحبتُ ذئاب الإنس<sup>(٣)</sup> طاوية      تراقب الجدى في الخضراء مسبوتا<sup>(٤)</sup>

ولما استقر بالمعرة لزم داره ، وشرع في التصنيف والإفادة ، وأخذ عنه الناس ،  
وقصده الطلبة من الآفاق ، وكاتبه العلماء والوزراء وأهل الأقدار ، وسمى نفسه :  
« رهن الحبسين » يعني حبس نفسه في المنزل ، وحبس بصره بالعمى .

وما فتئ وهو بعيد عن بلده ، يحن إليه ويشتاقه ، ويذكره في شعره ،  
وفيه يقول :

سرى برقُ المعرة بعد وَهْن      فبات برامة يصف الكلالا  
شجاً رَكْباً وأفراساً وإبلاً      وزاد فكاد أن يشجو الرحالا  
بها كانت جيــــــــــــادهم مهاري      وهم مُرْدَاً وَبُرْهُمُ فِصَالا  
وقال :

فيا برق ليس الكَرخُ داري وإنما      رمانى إليه الدهر منذ ليل  
فهل فيك من ماء المعرة قطرة      تغيث بها ظمآن ليس بسال  
وقال أيضاً :

(١) المسفوت : القليل البركة .  
(٢) الإصليت : الماضي الصقيل .  
(٣) يريد بذئاب الإنس الأصوص .  
(٤) المسبوت : من السبات ، وهو النعاس .



متى سألت بغداد عني وأهلها      فأتني عن أهل العواصم سأل  
وماء بلادى كان أنجع مشربا      ولو أن ماء الكرخ صهبا جريال  
على أنه لما أزمع الرحلة من بغداد ، عز عليه فراقها ، وفراق أودانه فيها ، فقال  
من قصيدة يحيب بها أبا على النهاوندى :

وردنا ماء دجلة خير ماء      وزرنا أشرف الشجر النخيل  
وزلنا بالجليل وما اشتفينا      وغاية كل شيء أن يزولا  
ونظم في توديعها قصيدة يقول فيها :

أودعكم يا آل بغداد والحشا      على زفرات ما يتبين من اللذع  
وداع ضني<sup>(١)</sup> لم يستقل وإنما      تحامل من بعد العشار على ظلع  
فبئس البديل الشام منكم وأهله      على أنهم قومي وبينهم ربي  
ألا زودوني شربة ولو أنني      قدرت إذا أفنيت دجلة بالجرع  
وأنى لنا من ماء دجلة نغبة<sup>٢</sup>      على الخمس من بعد الفاوز والربع  
وقال من أخرى :

لقد نصحتني في المقام بأرضكم      رجال ولكن رب نصح مضيع  
فلا كان سيرى عنكم رأى ملحد      يقول بيأس من معاد ومرجع  
أى لا كان سيرى عنكم ذهاباً بلا إياب . أخرجه مخرج الدعاء .

(١) يقال ضني كرضى فهو ضني وضن : مرض .

## فصل فى تلامذته

قرأ على أبى العلاء ببغداد والمعرفة كثيرون ، واشتهر جماعة منهم بالاختصاص به ، والانتساب إليه فى العلم ؛ كأبى المكارم عبد الوارث بن محمد الأبهري ، وأبى تمام غالب بن عيسى الأنصارى ، والخليل بن عبد الجبار القزوينى ، ومحمد بن أحمد ابن أبى الصقر الأنبارى وغيرهم . وروى عنه : القاضى أبو القاسم على ابن القاضى الحسن ابن القاضى التنوخى لم وكان من أقرانه ، أخذ عنه وهو ببغداد ، وصحبه ، واتصلت صحبته بالتهريزى بسبب أبى العلاء . ولد القاضى المذكور ، سنة ٣٦٥ بالبصرة ، كما فى « وفيات الأعيان » لابن خلكان ، أوفى سنة ٣٥٥ كما فى « فوات الوفيات » لابن شاکر ، والأول أصح . وتوفى سنة ٤٤٧ ، قبل وفاة أبى العلاء بنحو سنتين . وكان صدوقا فى حديثه ، وقبلت شهادته عند الأحكام فى حدائمه ، ولم يزل على ذلك مقبولا إلى آخر عمره ، وتولى قضاء عدة نواح ، منها المدائن وأعمالها ، وأذربيجان والبردان وغير ذلك . وكانت فيه دعاية ، يروى أن إسكافا اجتاز بداره وهو نائم ، فصاح شرّاك النعال وأزعجه بصياحه ، فقال لغلامه : اجمع كل نعل فى الدار وأعطاها لهذا يصلحها ويشغل بها ، ثم نام واشتغل الإسكاف بإصلاحها إلى آخر النهار ، فلما كان فى اليوم الثانى فعل كذلك ، ولم يدعه ينام ، فقال للغلام : أدخله ، فلما دخل قال له : أمس أصلحت كل نعل عندنا ، واليوم تصيح على بابنا ، هل بلغك أننا نتصافع بالنعال ونقطعها ؛ يا غلام ، قفاه .

وسمع امرأة تقول لأخرى : كم عمر ابنتك ؟ فقالت : رزقتها يوم صنع

القاضي وضرب بالسياط ، فقال لها : أصار صفعي تاريخاً لك ما وجدت تاريخاً غيره ؟

ومن قرأ على أبي العلاء ، وهو ببغداد : الأديب المشهور بابن فورجة البروجردى ، ذكر ذلك السيوطى . وهو صاحب « الفتح على أبي الفتح » ، و« التجنى على ابن جنى » ، يرد فيهما على ابن جنى فى شرح شعر المتنبى / واختلفوا فى اسمه فقيل محمد بن حمد ، وسماه مجد الدين الشيرازى فى كتابه « البلغة فى أئمة اللغة » : حمد بن محمد ، ومن شعره :

أيها القتالى بعينيه رفقا      إنما يستحق ذا من قلاكا  
أكثر اللأمون فيك عتابى      أنا واللأمون فيك فداكا  
إن لى غيرة عليك من اسمى      إنه دائماً يقبل فاك

قال السيوطى : هذا الشعر يؤيد أن اسمه حمد . واختلفوا أيضاً فى اسم جده فورجة ؛ فقال السيوطى : بضم الفاء وسكون الواو وتشديد الراء المهملة وفتح الجيم . وقال ابن شاكرفى « فوات الوفيات » : فوزجة بالفاء المضمومة ، وبعد الواو والزاي جيم مشددة . وفى النسخ خلط فى ميلاده ووفاته .

وأشهر تلاميذ أبى العلاء : أبو زكريا يحيى بن على الخطيب التبريزى ، صاحب المصنفات النفيسة ، كشرح الحماسة والمعلقات وتهذيب ألفاظ ابن السكيت وغيرها ، ولد سنة ٤٢١ . وتوفى فجأة ببغداد سنة ٥٠٢ . ودخل مصر فى عنفوان شبابه ، ثم استوطن بغداد ، ودرّس الأدب بالنظامية ، وكان إماماً فى اللغة ثقة فيها ، إلا أنه كان مُسْتَهْتَكاً بالشراب / وكان سبب رحلته إلى أبى العلاء أنه لحصل على نسخة من كتاب « التهذيب » للأزهرى فى اللغة فى عدة مجلدات ، وأراد تحقيق ما فيها ، وأخذها عن رجل عالم باللغة ، فدلوه على

أبي العلاء ، فجعل الكتب في محلاة ، وحملها على كتفه من تبريز إلى المعرة ، ولم يكن له ما يستأجر به مراكباً ، فنغذ العرق من ظهره إليها ، فأثر فيها . وكانت بعض الوقوف ببغداد ، إذا رآها من لا يعرف صورة الحال ظن أنها عريقة ، وليس بها سوى عرق التبريزي .

وقال العلامة عبد الهادي نجا الأبياري من شيوخ هذا العصر المتوفي سنة ١٣٠٥ ، في كتابه « القصر المبني على حواشي المغني » عند كلامه على أبي العلاء المعري : « ومما يدل على فضله ، أن الخطيب أبا زكريا يحيى التبريزي قرأ الأدب عليه ورحل إليه من تبريز ، وسيدى عبد القادر الجيلاني ، قرأ الأدب على التبريزي هذا ، فالشيخ شيخ شيخ الجيلاني . والله أعلم » .

قلت : واني قاله الشيخ من قراءة الجيلاني الأدب على التبريزي صحيح ، ذكره ابن شاكرو في ترجمة الجيلاني من « قواف الوفيات » .

## فصل في مبلغ علمه وذكائه

اتفق محبوه ومبغضوه على أنه كان وافر البضاعة من العلم ، غزير المادة في الأدب ، إماماً فيه ، حاذقاً بالنحو والصرف ، نسيجاً وحده في الذكاء والفهم وقوة الحافظة . أما اللغة وحفظ شواهدا وتقييد أوابدها فقد كان فيها أعجوبة من العجائب ، وحسبك أنهم إذا عددوا مَنْ رزقوا السعادة في أشياء ، لم يأت بعدهم من نالها — عدّوا أبا العلاء ممن تفرد بسعة الاطلاع على اللغة . وكلامه الذي أورده في رسالة الغفران في بيتي النمر بن تولب ، وتغييره القوافي ثم وتنزيلها على سائر حروف المعجم حلا حرف الطاء — يدل على اطلاع كبير ، وتمسك من اللغة والأدب اقل ان يتفق نظيره لشخص . وخلاصة ما ذكره أن خلفا الأحمر تذاكر يوما مع أصحابه في قول النمر :

أَلَمْ يَصْخَبْنِي وَهُمْ هُجُوعٌ      خَيَالٌ طَارِقٌ مِنْ أُمِّ حِصْنِ  
لَهْلَهَ مَا تَشْتَهِي عَسَلًا مُصَقًّى      إِذَا شَاءَتْ وَحَوَّارِي بِسَمْنِ

فقال لهم : لو كان موضع أم حِصْن ، أم حَفْص ؛ ما كان يقول في البيت الثاني ؟ فسكتوا ، فقال : حَوَّارِي بِلَمَصٍ ، يعني الفالوذج . والحواري الدقيق الأبيض وهو اللُّباب ، فغير أبو العلاء قوافي البيتين على حروف المعجم ، وربما أتى في الحرف بالقافيتين والثلاث ، ولا يتفق هذا إلا لمن رزق حظا وافرا من الاطلاع ، والمسألة مبسوسة في الرسالة ، فارجع إليها إن شئت لتعلم صحة ما قلناه .

وذكر غير واحد من اللغويين أن أبا العلاء لما دخل بغداد ، اعترضوا عليه في حلقة ابن الحسن ، لقوله :

ويُوشعُ ردَّ يُوحى بعضَ يومٍ وأنت متى سَفَرْتَ رَدَدْتَ يُوحَا  
ويُوح ويُوحى بضمهما من أسماء الشمس ، فقالوا له : صحفت إنما هو بوح بالباء  
الموحدة . واحتجوا عليه بكتاب الألفاظ لابن السكيت ، فقال لهم : هذه  
النسخ التي بأيديكم غيرها شيوخكم ، ولكن أخرجوا ما في دار العلم من النسخ  
العتيقة ، فأخرجوها فوجدوها مقيدة كما قال .

واحتج به ياقوت في معجم البلدان في تصحيح لفظة الضُّراح ردًّا على من  
قال إنها بالصاد المهملة ، فقال : ألا ترى إلى أبي العلاء أحمد بن سليمان المعري ،  
كيف جمع بين الضُّراح والضَّرِيح إرادة للتجنيس والطباق ، فقال :

لقد بلغ الضُّراح وساكنيه      نشأك وزار من سكن الضَّرِيحَا

والنَّثام مقصوراً وبتقديم النون على الثاء : الخبر . ومن غريب ما يروونه عنه  
في ذلك أنه دخل على الشريف أبي القاسم المرتضى أخى الشريف الرضى ،  
وهو ببغداد ، فعثرَ برجل فقال : من هذا الكلب ؟ فقال أبو العلاء : الكلب من  
لا يعرف للكلب سبعين اسماً . وسمعه المرتضى فأدناه واختبره فوجده عالماً مُشَبَّعاً  
بالفطنة والذكاء ، فأقبل عليه إقبالا كثيراً . قلت : ومن هذا هرب جلال الدين  
عبد الرحمن السيوطى فجمع أكثر من ستين اسماً للكلب ، ونظمها في أرجوزة  
سمَّاها « التبرى من معرة المعري » ، رأيت أن أورها هنا إتماماً للفائدة لعزة  
وجودها ، ثم أعقبها بشرح يميظ اللثام عن الأسماء الواردة فيها ، وأتبعه بما  
استدركته على الناظم من أسماء الكلب ، وهى :

لله حمْدٌ دائمٌ أُولَى      ثمَّ صَلَاتُهُ عَلَى النَّبِيِّ  
قدْ نَقَلَ الثَّقَاتُ عَنْ أَبِي الْعَلَا      لما أَتَى الْمُرْتَضَى وَدَخَلَا  
قال له شَخْصٌ به قد عَثَرَا      مَنْ ذَلِكَ الْكَلْبُ الَّذِي مَا أَبْصَرَا

- فَقَالَ فِي جَوَابِهِ قَوْلًا جَلِي  
الكلب من لم يدر من أممائه  
وقد تَتَبَّعْتُ دَوَاوِينَ اللُّغَةِ  
فَجِئْتُ مِنْهَا عَدَدًا كَثِيرًا  
وقد نَظَّمْتُ ذَاكَ فِي هَذَا الرَّجَزِ  
فَسَمِعَهُ هَدِيتَ بِلَتِّسَبْرِي
- ١ — مِنْ ذَلِكَ الْبَقَاعِ ثُمَّ الْوَارِعُ  
٢ — وَالْخَيْطَلُ السُّحَامُ ثُمَّ الْأَسَدُ  
٣ — وَالْأَعْنَقُ الدَّرْبَاسُ وَالْعَمَلَسُ  
٤ — وَالنَّعْمُ الطَّلُقُ مَعَ الْعَوَاءِ  
٥ — وَعُدَّ مِنْ أَشْمَائِهِ الْبَصِيرُ  
٦ — وَالْعُرْبُ قَدْ سَمَوُةُ قَدْ مَافِي النَّفِيرِ  
٧ — وَهَكَذَا سَمَوُةُ دَاعَى الْكَرَمِ  
٨ — وَثُمَّ كَلِيبُ وَهَبْلَعُ  
٩ — ثُمَّ كُسَيْبُ عِلْمُ الْمَذْكُورِ  
١٠ — وَالْقَلْبَطِيُّ وَالسَّوْفِيُّ نِسْبَةُ  
١١ — وَالْمُسْتَطِيرُّ هَاجِجُ الْكَلَابِ  
١٢ — وَاللَّزْهَرِيُّ وَالْجَرِيُّ مُثَلَّثُ الْفَاءِ  
١٣ — وَالسَّيْعُ فِيمَا قَالَ الصُّوْلِيُّ  
١٤ — وَنَقَلُوا الرَّاهِدُونَ لِلْكَلابِ  
١٥ — مِثْلُ قَطَامٍ عَلَمًا مَبْنِيًّا
- مُسَيِّرًا لِدَلَالَةِ الْمُجَهَّلِ  
سَبْعِينَ مَوْمِيًا إِلَى عِلَالِيهِ  
لَعَلَّنِي أَجْعُ مِنْ ذَا مَبْلَغِهِ  
وَأَرْتَجِي فِيمَا بَقِيَ تَبْسِيرًا  
لِيَسْتَفِيدَهَا الَّذِي عَنْهَا عَجَزُ  
يَا صَاحِبَ مِنْ مَعَرَّةِ الْمَعْرَى  
وَالْكَلْبُ وَالْأَبْقَعُ ثُمَّ الزَّارِعُ  
وَالْعُرْبُجُ الْعَجُوزُ ثُمَّ الْأَعْقَدُ  
وَالْقَطْرُبُ الْفُرْنِيُّ ثُمَّ الْفَاحِشُ  
بِالْمَدِّ وَالْقَصْرِ عَلَى السَّوَاءِ  
وَفِيهِ لَعَزُ قَالَ خَبِيرُ  
دَاعَى الضَّمِيرِ ثُمَّ هَلَا فِي الضَّمِيرِ  
مَشِيدُ الذِّكْرِ مَتَمُّ النِّعَمِ  
وَمُنْذَرُ وَأَهْوَجُ وَهَجْرَعُ  
مِنْهُ عَنِ الْهَمْزَةِ وَاللَّامِ عَرَى  
كَذَا النَّصِيبِيُّ بِذَلِكَ أَشْبَهُ  
كَذَا رَوَاهُ صَاحِبُ الْعُبابِ  
لَوْلَا الْكَلْبُ أَسَامُ تُلْقَى  
وَهُوَ أَبُو خَالِدٍ الْمَسْكُونِ  
وَكَلْبَةُ قَبِيلُهَا أَيْضًا كَسَابُ  
وَكَسْبَةُ كَذَاكَ نَقْلًا رِيًّا

- ١ — وَخُذْ لَهَا الْعَوَاقِ وَالْمَعَاوِيَةَ  
١ — وَوَلَدَ الْكَلْبِ مِنَ الذُّبَّةِ سَمٌ  
١ — وَالْحَقُّوا بِذَلِكَ الْخَيْمَفَقَى  
١ — وَوَلَدَ الْكَلْبَةِ مِنَ ذَيْبِ سُمَى  
٢ — ثُمَّ كَلَابُ الْمَاءِ بِالْهَرَا كِلَةٌ  
٢ — كَذَاكَ كَلْبُ الْمَاءِ يُدْعَى الْقَنْدَسَا  
٢ — وَكَلْبَةُ الْمَاءِ هِيَ الْقَضَاعَةُ  
٢ — وَعَدُّدُوا مِنْ جَنْسِهِ ابْنُ آوَى  
وَدُؤْلٌ وَدُؤْلٌ وَالذَّالَّانُ  
كَذَلِكَ الْعِلْوَضُ ثُمَّ الْفَوْقَلُ  
وَالْوَعُ وَالْعِلْوَشُ ثُمَّ الْوَعُوعُ  
هَذَا الَّذِي مِنْ كُتُبِ جَمْعَتِهِ  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لَهَا خِتَامُ ثُمَّ عَلَى نَبِيِّهِ السَّلَامُ

تمت الأرجوزة . ونشرع في شرحها معتمدين على ما دونوه في كتب  
اللغة والأمثال والحيوان ، وقد وضعنا أرقاماً للأبيات يرجع إليها في هذا  
الشرح ، فنقول :

(١) البرقع والأبقع من الكلاب الذي خالط بياضه لون آخر ، والبقع في  
الطير والكلاب بمنزلة البلق في الدواب ، وقول الأخطل :

كلوا الضبَّ وابن العيرِ والباقع الذي يبييت يعسُّ الليل بين النفايرِ  
قيل أراد الكلب ، وقيل غير ذلك ، والعرب تقول : لا خير في بقع  
الكلاب . وترى التَّبْقِيعَ هُجْنَةً فيها ، وخير الكلاب عندها ما كان لونه يذهب .



إلى لون الأسد ، وخير كلاب الصيد البيض . وفي الخصاص : البَقْعُ بياض في صدر الكلب الأسود ، وهي البُقْعَةُ ، وكلبٌ أَبْقَعَ والجمع بُقْعَان . والوازع الكلب لأنه يَزَعُ الذَّنَبَ عن الغنم أى يكفُّه ، ويقال له ابن وازع أيضاً . والكلب كل سَبْعٍ عقور ، ثم غلب على هذا النابح ، كما في القاموس . وقال شارحه : شيخنا : بل صار حقيقة لغوية فيه لا تحتل غيره ، ولذلك قال الجوهري وغيره : هو معروف ، ولم يحتاجوا لتعريفه لشهرته . انتهى . وهو من الأسماء التي تسمت بها العرب ؛ فمن مشهورهم في ذلك : كُليْبُ بن ربيعة من بني تَغْلِبِ بن وائل ، وهو الذي ضربوا به المثل ، فقالوا : أَعَزُّ من كليب وائل ، وقامت الحرب بسببه بين بكرٍ وتَغْلِبِ . وكان اسمه في الأصل وائلا ؛ وإنما سموه كليباً ، لأنه بلغ من غمه أنه كان يحسى الكلاً فلا يقرب حماء ، ويجير الصيد فلا يُهاج . وكان إذا مر بروضة أعجبت به ، أو غدير ارتضاه ، كنَّع كُليْباً ثم رمى به هناك ، فحيث بلغ عواؤه كان حِمَى لا يُرعى ، فلما حمى كليب المرمى الكَلَّا قِيل : أَعز من كليب وائل . ثم غلب هذا الاسم عليه حتى ظنوه اسمه ؛ كذا في مجمع الأمثال للميداني . وقوله : كنَّع هو بمعنى بَضَعَ وكَوَّع أى ضربه فصيره مُعَوَّج الأَكواع . ومنهم كليب بن حبشية بن سُلُول في خُزاعة . وكلب بن عمرو بن لُؤى في بَجِيلَةَ . وبنو كلب ، وبنو أكلب ، وبنو كلبه وبنو كلاب ، قبائل معروفة ، منها في قریش كلاب بن مرة ، وفي هَوَازِن كلاب بن ربيعة بن صَعْمَعَةَ . أما ذو الكلب فهو عَمْرُو بن العَجْلان أحد شعراء هذيل ، لقب به لأنه كان له كلب لا يفارقه . وعائد الكلب هو عبد الله بن مُصْعَب ، كان والياً للرشيد على المدينة ، لُقِّب بذلك لقوله :

مالي مَرَضْتُ فلمْ يَعدني عائدٌ      منكم ويمرض كلبكم فأعود  
وهو أحد من نطقوا في الشعر بكلمات غلبت شهرتها عليهم ، فلقَّبوا بها ،

وربما جمعت ما وقفت عليه من ذلك في رسالة مستقلة . والسبب الذي دعا العرب إلى تسمية أبنائها بمثل هذه الأسماء المستكرهة كالكلب والذئب والحجر والصخر ، هو ما ذكره الزاعب وغيره أن عرابيا سئل : لم سمّوا أبنائهم بالأسماء القبيحة ، وعبيدهم بالحسنة ؟ فقال : لأن أبنائهم لأعدائهم ، وعبيدهم لأنفسهم . قلت : وقد فصل الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر المشهور بابن قيم الجوزية مذاهب العرب في تسمية أبنائها تفصيلا ترتاح إليه النفس ويثلج به الفؤاد ، فقال في آخر كتابه « مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة » عند الكلام على النّال والطيرة ، ما نصه : وكانت لهم مذاهب في تسمية أولادهم : فمنهم من سموه بأسماء تفاؤلا بانظف على أعدائهم ، نحو غالب وغلاب ومالك وظالم وعارم ومنازل ومقاتل ومبارك ومسهر ومؤرق ومصبح وظارق : ومنهم من تفاؤل بالسلام كنسبيتهم بسالم وثابت ونحوه ، ومنهم من تفاؤل بليل الحظوظ والسعادة كسعد وسعيد وأسعد ومسعود وسعدى وغانم ونحو ذلك ، ومنهم من قصد التسمية بأسماء لسباع ترهيبا لأعدائهم نحو أسد وليث وذئب وضرغام وشبل ونحوها ، ومنهم من قصد التسمية بما غلظ وخشن من الأجسام تفاؤلا بالقوة كحجر وصخر وفهر وجندل ، ومنهم من كان يخرج من منزله وامراته تمخض ، فيسمى ما تلده باسم أول ما يلقاه ، كائنا ما كان ، من سبع أو ثعلب أو ضب أو كلب أو ظبي أو حشيش أو غيره . انتهى المقصود منه .

وأما ما سمي بالكلب أو أضيف إليه من لبتاع ولعيوف والأنهار وغيره ، فنقد تركنا ذكره طبا للاختصار ، ونقتصر منها على قرية بحلب تسمى جبّ الكلب ، تعد من العجائب لاشتهارها ببر فيها إذا شرب منها المكلوب قبل أن يأتي عليه أربعون يوما برا . كذا ذكر صاحب القاموس في مادة ج ب ب .

وقال ياقوت في معجمه : حدثني مالك هذه القرية ابن الإسكافي ، وسأله عما يحكى عن هذا الجب وأن الذى نهشه الكلب الكلب إذا شرب منه برا ، فقال : هذا صحيح لا شك فيه . قال : وقد جاءنا منذ شهور ثلاث أنفس مكلوبين يسألون عن القرية ، فدُلُّوا عليها ، فلما حصلوا فى صحرائها اضطرب أحدهم وجعل يقول لمن معه : اربطونى لئلا يصل إلى أحدكم منى أذى ، وذلك أنه كان قد تجاوز أربعين يوماً منذ نهش ، فربط ، فلما وصل إلى الجب وشرب من مائه مات . وأما الآخران فلم يكونا بلغا أربعين يوماً ، فشربا من ماء الجب فبرا . قال : وهذه عادته ، إذا تجاوز المنهوش أربعين يوماً لم تكن فيه حيلة . إلى أن قال : وهذه البئر هى بئر القرية التى يشرب منها أهلها . انتهى . قلت : ولا أدري ما فعل الله بالقرية والبئر ، وإنما خصصتها بالذكر دون غيرها تنبيهاً لأطباء هذا العصر ، لعلمهم يتوقفون للبحث والتنقيب عنها ، حتى إذا وجدوها امتحنوا ماءها ، وربما كان فيه من الأملاح أو غيرها ما من خاصيته شفاء هذا المرض ، وعسى ألا تأخذهم حمية جاهلية فيضربوا بهذا القول عرض الحائط بغير حجة سوى ما اعتادوه من احتقار أقوال علمائنا المتقدمين ، فلولا تجربة هذا الماء وظهور نفعه فى المصابين قبل أن يجاوزوا أربعين يوماً ، أى قبل استفحال الداء وتمكنه منهم ، لما استفاض خبره ، ونقله هؤلاء الأعلام ، ولا فائدة لثلاثهم فى التواطؤ على الكذب فى مثله .

والزَّارِعُ بتقديم الزاى على الراء الكلب ، وفى القاموس : زارع اسم كلب ، ومنه قيل للكلاب : أولاد زارع ، وفيه أيضاً فى مادة ذرع بالذال المعجمة : أولاد ذارع ، وذراع بالكسر : الكلاب . وفى الخصاص : قال على بن حمزة : ابن زارع وابن ذارع وابن وازع : الكلب ، وربما سُمى وازعا أيضاً . انتهى .

«الْحَيْطَلُ» بفتح الخاء المعجمة وسكون الياء المثناة التحتية ، وفتح الطاء المهملة وبعدها لام : الكلب . والشَّحَام بضم السين المهملة ، وبعدها حاء مهملة ، مأخوذ من الشَّحْمَة وهي السَّوَاد ، والذي يؤخذ من نصوص كتب اللغة أنه عَلِمَ عَلَى كَلْبٍ مَعَيْنٍ لا اسم جنس للكلاب . قال الجوهري : سُحَام اسم كلب ، واستشهد بقول ليبيد :  
فَتَقَصَّدْتُ مِنْهَا كَسَابٍ فَضُرِّجْتُ بِدَمٍ وَغُودِرَ فِي الْمَسْكِرِ سُحَامُهَا  
ووافقه في ذلك شُرَاحُ الملقات ، وهو ظاهر من سياق البيت . وفي لسان العرب : سُجِّمٌ وَسُحَامٌ من أسماء الكلاب ، ثم أنشد بيت ليبيد . وذهب صاحب القاموس إلى أن صوابه بالمعجمة قال : وَوَرِّمَ الْجَوْهَرِي . قلت : لا وَهم ؛ فقد ذكر بعض شراح الملقات أنه يروى بهما ، ووافقه الميداني في جمع الأمثال عند تفسير قولهم (هَنِيئًا لِسُحَامٍ مَا أَكَلَ) فإنه أورد البيت ثم قال : ويروى سُحَامُهَا بالخاء . وهذا المثل يضرب في الثمالة بهلاك العدو . وقول الزَّوْزَنِي في شرح الملقات إنه اسم كلبة ، يخالف ما أجمعوا عليه من أنه اسم كلب ذَكَرٍ . والله أعلم . والأسد لم أعر في كتب اللغة على أنه يطلق على الكلب ، وإنما الذي فيها أن الكلاب من أسماء الأسد . والعَرُجُجُ بضم العين المهملة ، وسكون الراء وضم الباء الموحدة ، وبعدها جيم : الكلب الضخم ، كما في القاموس ، أو كلب الصيد ، كما في اللسان . والعَجُوزُ بفتح العين المهملة وضم الجيم وبعدها واو ساكنة وزاي : من أسماء الكلب . والأَعْقَدُ بالعين المهملة ، والقاف ، والذال المهملة : الكلب ، لانهقاد ذنبه ، جعلوه اسمًا له معروفًا ، قال جرير :

تَبُولُ عَلَى الْقَتَادِ بَنَاتُ تَيْمٍ مَعَ الْعُقْدِ النَّوَابِجِ فِي الدِّيَارِ  
قالوا : ليس شيء أحب إلى الكلب من أن يبول على قتادة أو على شجيرة صغيرة غيرها . وروى الجاحظ في كتاب «الحيوان» مساور بن هند يهجو قومًا  
بِأَكْلِ الْكِلَابِ :

إذا أَسَدِيَّةٌ وَلَدَتْ غُلَامًا فَبَشَّرَهَا بِأُوْرَمٍ فِي الْغُلَامِ  
يُخَرِّسُهَا نِسَاءُ بَنِي دُبَيْرٍ بِأَخْبَثِ مَا يَكُونُ مِنَ الطَّعَامِ  
تَرَى أَظْفَارَ أَعْقَدَ مُلَقِيَّاتٍ بِرَأْسِهَا عَلَى وَضَمِ الشُّمَامِ  
يُخَرِّسُهَا أَيُّ يَصْنَعْنَ لَهَا الْخُرْسَةَ وَهِيَ طَعَامُ النَّفْسَاءِ ، وَدُبَيْرٌ بِالتَّصْغِيرِ أَبُو قَبِيلَةٍ  
مِنْ أَسَدٍ ، وَالْوَضَمُ بِالتَّحْرِيكِ مَا وَقِيتَ بِهِ اللَّحْمُ عَنِ الْأَرْضِ مِنْ خَشَبٍ أَوْ حَصِيرٍ ،  
وَالشُّمَامُ نَبْتٌ ضَعِيفٌ لَا يَطُولُ كَانُوا يَفْرَشُونَهُ تَحْتَ الْأَسَاقِي وَنَحْوِهَا ، وَرَبَّمَا حَشَوَا  
بِهِ وَسَدُّوا خِصَاصَ الْبُيُوتِ .

(٣) الْأَعْنَقُ بِالْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ وَالنُّونِ وَالْقَافِ : الْكَلْبُ فِي عُنُقِهِ بَيَاضٌ ، وَيُقَالُ  
لِلْقَلَادَةِ الَّتِي تَوْضَعُ فِي عُنُقِ الْكَلْبِ : مِعْنَقَةٌ ، وَقَدْ أَعْنَقَهُ إِذَا قَلَدَهُ إِيَّاهَا ، وَيُقَالُ  
لَهَا أَيْضًا الْجِلْبَّةُ بِالْكَسْرِ ، وَكَذَلِكَ الْأَرْبَةُ بِالضَّمِّ : قَلَادَةُ الْكَلْبِ الَّتِي يَقَادُ بِهَا .  
وَالدَّرْبَاسُ بِكَسْرِ الدَّالِ الْمَهْمَلَةِ وَسُكُونِ الرَّاءِ وَبَعْدَهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ وَأَلْفٌ وَسَيْنٌ  
مَهْمَلَةٌ : الْكَلْبُ الْعَقُورُ . وَالْعَمَلَسُ بِفَتْحِ الْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ وَالْمِيمِ وَاللَّامِ الْمَشْدُودَةِ ، وَبَعْدَهَا  
سَيْنٌ مَهْمَلَةٌ : كَلْبُ الصَّيْدِ كَمَا فِي الْقَامُوسِ ، أَوِ الْكَلْبُ الْخَبِيثُ كَمَا فِي اللِّسَانِ .  
عَلَى أَنَّهُ أَنْشَدَ بَعْدَ ذَلِكَ قَوْلَ الطَّرِّمَاحِ يَصِفُ كَلَابَ الصَّيْدِ :

يُوزَعُ بِالْأَمْرَاسِ كُلِّ عَمَلَسٍ مِنَ الْمَطْعِمَاتِ الصَّيْدِ غَيْرِ الشَّوْاحِنِ  
وَقَالَ فِي تَفْسِيرِ يَوْزَعٍ : يَكْفُ ، وَرَوَاهُ فِي مَادَّةِ وَدَعٍ : يَوْدَعُ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّ  
يَقْلُدُهَا وَدَعَ الْأَمْرَاسِ .

وَالْقَطْرُبُ بِضَمِّ الْقَافِ وَسُكُونِ الطَّاءِ الْمَهْمَلَةِ وَضَمِّ الرَّاءِ ، وَبَعْدَهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ :  
الصَّغِيرُ مِنَ الْكَلَابِ . وَفِي الْخُصَصِ : الْقَطْرَبُ (أَيُّ بِفَتْحِ الْقَافِ وَالرَّاءِ) صَغَارُ  
الْكَلَابِ ، زَعَمُوا أَنَّ الْوَاحِدَ قَطْرُبٌ ، وَلَيْسَ هُوَ جَمْعٌ بَلْ اسْمٌ لِلْجَمْعِ  
انْتَهَى مُلَخَّصًا .

والفرقي بضم الفاء وسكون الراء وبعدها نون وياء مشددة : الكلب  
نخم ، قال العجاج :

وطاح في المركة الفرقي

قال ابن بري : أراد الضخم من الكلاب ، وقال غيره : إنما أراد الرجل  
بليظ الضخم .

والفلحس بفتح الفاء وسكون اللام وفتح الحاء المهملة وبعدها سين مهملة :  
كلب . قال الجاحظ في كتاب الحيوان : ويقال للكلب فلحس ، وهو من  
نفات الحرص والإلحاح ، ويقال : فلان أسأل من فلحس . وفلحس رجل من  
شيبان كان حريصاً رغبياً ومُدحفاً مُلِحّاً ، وكل مُفْبِلٍ فهو عندهم فلحس .  
تمنى . قلت : وإنما سُموا الكلب بذلك لأنه موصوف عندهم بالحرص والإلحاح ،  
حتى قالوا في أمثالهم : ( أَلَحُّ مِنْ كَلْبٍ ) .

(٤) التغم : بفتح التاء المثناة وكسر الغين المعجمة وبعدها ميم : الكلب  
ضاري . والطلق بفتح الطاء المهملة وسكون اللام وبعدها قاف : كلب الصيد .  
والعواء بالعين المهملة وبالمد ، ويقال أيضاً بالقصر : الكلب يعوى كثيراً .  
للوزير أبي الوليد إسماعيل بن حجاج الأعمى الأشبيلي في فتى عضه كلب في خذه :  
وأغيد وضاح المباسم بامم إذا قام الأرواح ناظره قر  
تعمد كلب عض وجنته التي هي الورد إيناعا وأبقى بها أثر  
فقلت لشئب الأفقر كيف صماتكم وقد أثر العواء في صفحة القمر

هكذا رواها صاحب « نفع الطيب » في موضع من كتابه ، منسوبة للوزير  
لذكور ، وأعادها في موضع آخر منسوبة لأبي القاسم بن هشام ، وروى المحاسن  
دل المباسم ، والأسياف بدل الأرواح . والله أعلم .

والصَّمَات بالضم والصَّمَت والصُّمُوت : السكوت ، يشير بذلك إلى قولهم  
لا يضر القمر نبح الكلاب ، وأصل المثل « لا يضر السحاب نبح الكلاب ،  
لأن كلاب البادية تتأذى بالمطر لمبيتها أبداً تحت السماء ، فإذا أبصرت غيم  
نبحته ، لأنها قد عرفت ما تلقى من مثله . وتنبح أيضاً القمر ، لأنه إذا طلع من  
المشرق يكون كقطعة غيم ، ومنه قول بعضهم :

يا جابر بن عدى أنت مع زفرٍ كالكلب ينبح من بُعدٍ على القمر  
(٥) البصير بفتح الباء الموحدة ، وكسر الصاد المهملة ، وبعدها ياء ساكنة  
وراء مهملة ، لم يذكره القاموس ، وأنشد صاحب اللسان لتوبة :

وأشرفُ بالقُورِ اليفاعِ أعلني أرى نَارَ كَيْلَى أَوْ يَرَانِي بَصِيرُهَا  
ثم قال نقلاً عن ابن سيده : يعنى كلبها ، لأن الكلب من أحد العيون  
بصرًا . انتهى .

قلت : وقد جاء في أمثالهم « أبصر من كلب » . وقول الناظم : « وفيه لغز  
قاله خبير » يريد بذلك قول الحريري في المقامة الثانية والثلاثين في فتاوى فقيه  
العرب « قال : أَيْسْتَبَاحُ ماء الضرير ؟ قال : نعم ، وَيُجْتَنَّبُ ماء البصير »  
فالمبتدأ أن الضرير هو الأعمى وهو لا يستباح ماؤه الذي يملكه بدون علمه ،  
ومراد الشيخ به : حرف الوادى ، وكذلك المتبادر في البصير أنه ضد الأعمى ،  
وماؤه إذا أخذ للوضوء باطلاعه لا يجتنب ، وإنما أراد به الكلب . هكذا  
فسره الحريري نفسه في المقامة .

(٦) هكذا رواية البيت في نسختين من الأصل ، ولم يظهر لى وجه تسمية  
العرب للكلب في نفيهم بداعى الضمير أو داعى الضميرة كما يفهم من سياقه ،  
فلعل الكلام محرف ، وقد دخل البيت التسذيل ، وهو من علل الزيادة ،  
ودخوله في الرجز مغتفر للمولدين .

(٧) قوله : داعى الكرم ، إنما سموه بذلك على ما يظهور ، لأن نباح الكلب يبشرهم بقدوم الضيف ، ويرشده إلى منزلهم ، فيكون سبباً للكرم وداعياً إليه . وقد كان الرجل من العرب إذا ضل وتخير في الليل ، فلم يدر أين البيوت ، أخرج صوته على مثل النباح ، فتسمعه الكلاب وتظنه كلباً ، فتنبج ، فيستدل بنباحها ويهتدى إلى المكان . وهو الذى تسميه العرب بالمستنبج . وأنشد أبو على القالى فى أماليه :

ومُبدٍ لى الشَّحْنَاءِ ببنى وبينه دعوتٌ وقد طال السرى فدعانى  
يعنى كلباً ، ويريد نبحت له فنبج فاهتديت به ؛ فكأنه دعانى بنباحه .  
وأنشد أبو على أيضاً :

ومُسْتَنْبِحِ بات الصَّدَى يَسْتَنْبِهُ فَتَاهَ وَجَوْزُ اللَّيْلِ مضطرب الكِسْرِ  
رَفَعَتْ لَهُ نَاراً ثَقُوباً زنادها تُبْلِغُ إِلَى السَّارَى هَلَمْ إِلَى قِدْرِى  
فلما أتى والبؤس رادف رَحْلَهُ تَلْقَيْتُهُ مَنِ بَوَجْهِ امْرِئٍ بَشَرِ  
فقلت له أَهْلٌ بِأَهْلٍ فلم يَجُزْ بك اللَّيْلُ إِلَّا لِلْجَمِيلِ مِنَ الْأَمْرِ  
وكادت تطير الشَّوْلُ عِرْفَانِ صَوْتِهِ ولم تُمَسِ إِلَّا وهى بخائفة العَقْرِ  
انتهى . وقد اتفق أكثر علماء الأدب ، كابن رشيق وأضرابه ، على أن أهجى

بيت قالته العرب ، قول الأخطل فى بنى يربوع قوم جرير :  
قوم إذا استنبج الأضيافُ كلبهم قالوا لأَمَّهم بولى على النار  
وقال آخر يوصى بالكلب ، وأنشدهما الجرجاني فى كنياته ، وقال ابن  
المرزبان : إنهما لأعرا بى قالملاً كبرولده فى كلبه :

أوصيك خيراً به فإنَّ له خلائقاً لا أزال أحمدها  
يدل ضيفى على فى غسق الليل إذا النار نام موقدها



وفي معنى استنبَح أيضاً : كَلَبَ الرجلُ يَكْلِبُ من باب ضرب ، واستكَلَبَ ،  
أنشد ابن سيده على الأول :

وداعٍ دعا بعد ما أقفرت ————— عليه البلاد ولم يَكْلِبِ  
وأنشد صاحب اللسان على الثاني :

ونبح الكلاب لمُسْتَكْلِبِ انتهى .

قلت : وكما يكون الكلب سبباً لإيصال الخير وتشديد الذكر ، فقد يكون أيضاً  
سبباً للشر ، كما جنت على أهلها بَرَأَقِشُ ، وهي كلبة كانت لقوم من العرب ،  
فأغبر عليهم ، فهربوا وهي معهم ، فاستدل الصدو عليهم بنباحها ، فهجموا عليهم  
واصطلموهم ، فقالوا (على أهلها تجني بَرَأَقِشُ) هكذا رواه الميداني في مجمع الأمثال ،  
ورواه ابن سيده في المختص ، والجاحظ في كتاب الحيوان : (على أهلها دلت بَرَأَقِشُ) .  
على أن نباح الكلب على الضيف وإن جعلوه من دواعي الكرم ، لما سبق  
ذكره ؛ فقد رأيناهم يعدونه في نفسه من خصاله المذمومة ، لأنه لا ينبح على القادم  
إلا كراهة منه في الغريب . ومن أحسن ما يروى في هذا الصدد نادرة أبي عبد الله  
محمد بن مرزوق عالم المغرب مع أهل تونس لما ورد عليهم وسألوه قراءة درس في  
التفسير بحضرة السلطان ، فأجابهم إلى ذلك ، وعينوا له محل البدء ، فطالع فيه ،  
فلما حضروا قرأ القارئ غير ذلك ، وهو قوله تعالى : « فثله كمثل الكلب .. الآية » .  
وأرادوا بذلك إغحام الشيخ والتعريض به ، فوجم هنيئة ثم تفجر بينابيع العلم ، إلى  
أن أجرى ذكر ما في الكلب من الخصال الحمودة ، وساقها أحسن مساق ، وأنشد  
عليها الشواهد ، وجلب الحكايات ، حتى عدَّ من ذلك جملة ؛ ثم قال في آخرها :  
فهذا ما حضر من محمود أفعال الكلب وخصاله ، غير أن فيه خصلة ذميمة ، وهي  
إنكاره للضيف . انتهى .

وعندى أن ذمهم له بإنكاره الضيف لم يقصدوا به إلا معنى من المعانى الشعرية ،  
إلا فأى فائدة من الكلب أعظم من حراسته أهله ، ودفعه عنهم ؟  
(٨) الثَّمَنُ بفتح الثاءين المثلثتين وسكون الميم الأولى : كلب الصيد .  
الكاتب ليس اسماً للكلب ، بل هو والكلب كأمر : جماعة الكلاب ، وفي  
السان : الكليب كالعبيد ، جمع عزيز . وأنشد في وصف مفازة :  
كَأَنَّ تَجَاوُبَ أَصْدَائِيهَا مُكَاةَ الْمَكَلِّبِ يَدْعُو الْكَلِيْبَا  
والـمـكـلـب بكسر اللام المشددة : معلم كلاب الصيد ، ومكاؤه : صفيره . وقال  
نارح القاموس نقلاً عن شيخه : إنهم اختلفوا فى الكليب هل هو جمع أو اسم  
جمع ، وصححوا أنه إذا ذكر كان اسم جمع كالحجيج ، وإذا أنث كان جمعاً  
كالعبيد . انتهى .

وهيئـلـكـم كدرهم ؛ أى بكسر الهاء وسكون الباء الموحدة وفتح اللام وبعدها  
بين مهيـلة : الكلب السُّلُوقى ، واسم كلب بعينه . ومُنْذِرٌ كأنه من إنذار أهله  
لطارق . وأهُوج لم يذكره ، وذكره الجاحظ على أنه الكلب فى بيت أنشده  
: كتاب الحيوان . والهِجْرَج بكسر الهاء وسكون الجيم وفتح الراء وبعدها عين  
هيلة : الكلب السُّلُوقى الخفيف .

(٩) كَسَيْبٌ مصغراً : اسم كلب ، كافى المخصص ، وفى اللسان : كَسَيْبٌ من  
سواء الكلاب ، ومراده من الأعلام التى تسمى بها الكلاب ؛ كما وضحه الناظم فى  
لبيت . وقد خصوه بذكور الكلاب كما خصوا كَسَابٍ وكَسَبَةً بإنائهما . وسيأتى  
ول الناظم فيهما ، وإنما كانوا يسمون كلابهم بذلك تفاؤلاً بالكسب والاكتساب .  
(١٠) الْقَلَطِطُ بفتح القاف واللام . وكسر الطاء المهملة وبعدها ياء مشددة ،  
الْقَلَاط كغراب ، والقِيلِيط بكسر القاف واللام ؛ كل ذلك القصير المجتمع من

الناس والسنانير والكلاب ، وقد جاء به أبو الشعمق في قوله من أبيات :

جِئْتُهُ زَائِراً فَأَذِنَ مَكَانِي وَتَلَقَّى بِمَرْحَبٍ وَتَحِيَّةٍ  
لَا كَمِثْلِ الْأَصَمِّ حَارِثَةَ اللَّؤْلُؤِ مِثْلِهِ السَّكَلِيَّةُ الْقَلْطِيَّةُ

وفي حياة الحيوان أن القلطى نوع من الكلاب السلوقية صغير الجرم  
قصير القوائم ، ويقال له : الصَّيْنِي .

والسلوق بفتح السين المهملة ، نسبة إلى سلوق ، وهي أرض أو قرية باليمن ،  
وذهب الجوهري إلى أنها مدينة بالشام ، قال القطامي :

مَعَهُمْ ضَوَارٍ مِنْ سَلُوقَ كَانَتْهَا حُصْنٌ تَجُولُ تُجَرَّرُ الْأَرْسَانَا

وفي معجم ياقوت قنلا عن ابن الخائك ، وهو يذكّر اليمن : سلوق كانت  
مدينة عظيمة بأرض الجديد ، واسم بقعتها اليوم حسل الزينة . إلى أن قال : وإليها  
كانت العرب تنسب الدروع السلوقية والكلاب السلوقية . انتهى . وقيل : سلوق  
بلد بطرف أرمينية يعرف ببلد اللان ، وتنسب إليه الكلاب . وقيل : بل هي  
منسوبة إلى سلقية بفتح السين فسكون وياء مفتوحة مخففة : بلد بالروم ، فلما نسبوا  
إليه قالوا : سلوقي ، فغيروا النسب . وجاء في اللسان : سلوق أرض باليمن ، وفي  
التهذيب : قرية باليمن ، وهي بالرومية : سلقية . انتهى . فسلقية علي هذا في اللغة  
الرومية هي سلوق التي باليمن . والله أعلم . أما علماء الحيوان من الأفرنج اليوم ،  
فيقسمون السلوق إلى عدة أنواع ، لكل صنف نوع ؛ واسمه في لغة الفرنسيين إثريه  
(Lévrier) ويذهبون إلى أن أنواعه تفرعت من جنس أصلي كان في سهول غربي  
آسيا ، ولهم في تعديدها كلام كثير ليس هذا موضعه . ورأيت في المعجم الكبير  
تلازوس أن السلوق (Sloughi) الحقيقي يوجد في الأقاليم الهندية الغربية ، وهو  
أصهب اللون .

والنَّصِيبِي بفتح النون وكسر الصاد المهملة ، نسبة إلى نصيبين ، ويقال  
النسبة إليها : نصيبيني أيضاً . وهي ثلاثة مواضع : مدينة من بلاد الجزيرة ،  
ية من قرى حلب ، ومدينة بشاطئ الفرات ، تعرف بنصيبين الروم . ولم  
أحد نص على اشتها واحد منها بنوع من الكلاب ينسب إليها ؛ فإما أن  
رن الناظم رآه في كتاب لم نطلع عليه ، أو يكون أراد الصَّيْنِي ، فخرِّفه الناسخ ،  
لي هذا يكون الشطر ( كذلك الصَّيْنِي بذاك أشبهه ) أو نحو ذلك . وقد صر بك  
، الدميري في « حياة الحيوان » أن القلطي يقال له : الصيني . فقول الناظم ( بذاك  
به ) بعد ذكره القلطي ، يرجح أنه أراد الصيني . على أن كثيراً من أئمة اللغة لم  
كروا الصيني إلا في معرض ردّه وتعليط قائله ؛ فقالوا : كَلْبُ زَيْتِي : قصير ، ولا  
، صيني . ورأيت الجاحظ جمع بينهما في كتاب الحيوان فقال : ( والكلب الزيتي  
صيني يُمرَّج على رأسه ساعات كثيرة من الليل ، فلا يتحرك . وقد كان في  
، ضبة كلب زيتي صيني يُسرَّج على رأسه ، فلا ينبض فيه نابض ، ويدعونه  
مه ، ويُرمي إليه ببضعة اللحم ، والمسرجة على رأسه ، فلا يميل ولا يتحرك ، حتى  
ون القوم هم الذين يأخذون المصباح من رأسه ؛ فإذا أزيل عن رأسه وثب على  
حم فأكله . دُرْبٌ فَدَرِبٌ ، وَتَقَفَ فَتَقَفَ ، وَأَدَبَ فَقَبِلَ ) . وعلى كل حال  
صيني ذكره ، وإن خطأ بعضهم قائله ، بخلاف النَّصِيبِي ، فإنا لم نر أحداً  
كره فيما نعلم .

( ١١ ) المستطير بالسين والطاء والراء المهملة جميعها : الكلاب الهاجج : أي  
غالب السَّفَاد . وأراد الناظم بالعباب : كتاب العباب الزاخر في اللغة ، وهو كتاب  
يبريق في عشرين مجلداً للإمام حسن بن محمد الصَّغَانِي أو الصَّغَانِي المتوفى سنة  
٦٥ ، بلغ فيه إلى الميم ، ووقف في مادة بكم ، ومث قبل إتمامه ؛ ولهذا قيل :

إِن الصَّغَانِيَّ الَّذِي حَازَ الْعُلُومَ وَالْحِكْمَ  
كَانَ قُصَّارِيَّ أَمْرِهِ أَنْ اتَّهَى إِلَى بَيْكَمَ

(١٢) الدَّرْصُ بِتَثْلِيثِ الدَّالِ الْمَهْمَلَةِ وَسُكُونِ الرَّاءِ وَبَعْدَهَا صَادٌ مَهْمَلَةٌ : وَلَدُ الْكَلْبِ ، وَكَذَلِكَ الْجِرُّوُ مَثَلُ الْأَوَّلِ .

(١٣) السَّمْعُ بِكَسْرِ السَّيْنِ الْمَهْمَلَةِ وَسُكُونِ الْمِيمِ وَبَعْدَهَا عَيْنٌ مَهْمَلَةٌ ، أَوْرَدَهُ النَّاضِمُ عَلَى أَنَّهُ مِنْ أَسْمَاءِ وَلَدِ الْكَلْبِ ، نَقْلًا عَنِ الصَّوْلِيِّ . وَالَّذِي فِي مَادَةِ (س م ع) مِنْ كُتُبِ اللُّغَةِ أَنَّهُ سَبْعٌ مَرَكَّبٌ ، وَهُوَ وَلَدُ الذَّنْبِ مِنَ الضَّبْعِ ، وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ : (أَسْمَعُ مِنْ سَمْعٍ) وَمِنْ السَّمْعِ : الْأَزَلُ . قَالَ :

تَرَاهُ حَدِيدَ الطَّرْفِ أَبْلَجَ وَاضِحًا      أَغَرَّ طَوِيلَ الْبَاعِ أَسْمَعُ مِنْ سَمْعٍ  
نَحْنُ رَأَيْتُ فِي مَادَةِ (خ ي ه ف ع) مِنَ اللِّسَانِ أَنَّهُ وَلَدُ الْكَلْبَةِ مِنَ الذَّنْبِ  
نَقْلًا عَنِ الْأَزْهَرِيِّ ، وَرَأَيْتُ أَيْضًا فِي جُزْءِ النَّاضِمِ سَمَاءَ « التَّهْذِيبِ فِي أَسْمَاءِ الذِّيْبِ »  
أَنَّ السَّمْعَ بَيْنَ الذَّنْبِ وَالْكَلْبِ . وَأَبُو خَالِدٍ : مِنْ كُنَى الْكَلْبِ ، ذَكَرَهُ النَّاضِمُ فِي الْمَزْهَرِ ، وَقَالَ أَبُو السَّعَادَاتِ الْمُبَارَكُ بْنُ الْأَثِيرِ فِي الْمَرْصَعِ : أَبُو خَالِدٍ هُوَ الْكَلْبُ ، مِنْ قَوْلِكَ : أَخَذَ الرَّجُلُ بِصَاحِبِهِ إِذَا لَزِمَهُ ، وَأَخَذَ بِالْمَكَانِ إِذَا أَقَامَ بِهِ . وَهُوَ كُنْيَةُ الثَّعْلَبِ أَيْضًا . اِتَّهَى .

قُلْتُ : وَلِلْكَ الْكَلْبِ كُنَى أُخْرَى سَنَذْكُرُهَا فِيمَا اسْتَدْرَكَنَاهُ عَلَى النَّاضِمِ بَعْدَ تَمَامِ الشَّرْحِ .

(١٤ و ١٥) فِي نَسَخَتَيْنِ مِنَ الْأَصْلِ بِإِسْقَاطِ لَفْظَةِ (أَيْضًا) مِنْ عَجْزِ الْبَيْتِ ، فَيَصِيرُ الشَّطْرُ : (وَكَلْبَةٌ قِيلَ لَهَا كَسَابٌ) وَلَا بَدَّ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ مِنْ كَسْرِ بَاءِ كَسَابٍ لِلْوِزْنِ ، وَهُوَ مَعَ هَذَا لَا يَلْتَمُ مَعَ الصَّدْرِ ؛ لِأَنَّ الْعُرُوضَ دَخَلَتْهَا إِحْدَى عِلَلِ الزِّيَادَةِ وَهِيَ التَّنْذِيلُ ، وَدَخُولُهُ فِي الرَّجْزِ مَغْتَفَرٌ لِلْمَوْلِدِينَ . وَالْبَيْتُ مُصَرَّعٌ ، وَلَا بَدَّ فِي

لتصريح من مطابقة الضرب للعروض في الوزن والقافية ؛ فلماذا اضطررنا لزيادة (أيضا) مع التنبيه عليها في الشرح لَيْلَتُمْ الشطران في الوزن . ويمكن أن يقال بإسقاطها :

وَنَقَلُوا الزُّهَادَ لِلْكَلابِ وَكَلْبَةً قِيلَ لَهَا كَسَابُ

إلا أن احتمال سقوط لفظة من قلم الناسخ سهوا أقرب من تغيير (الزاهدون) بالزُّهَاد . أما وصف الكلب بالزهد ، فقد وقفت في مجموع على رسالة في خصال الكلب المحمود ، تنسب للحسن البصري ، جاء فيها مانصه : (الخصلة الرابعة ، أنه إذا مات لا يكون له ميراث ، وذلك من أخلاق الزاهدين) وكنت في ريب من تأمر هذه الرسالة ، حتى رأيتها في نفح الطيب مسوقة في ترجمة أبي عبد الله الراعي الغرناطي ، وذكر أنه أوردها في باب العلم من شرحه على الألفية ، منسوبة للحسن البصري . والله أعلم .

ومن أمثالهم في ذلك : (أشكرُ من كلب) إلا أن الأكثرين على وصفه بالحرص والشره ، ومن أمثالهم فيه (أخرصُ من كلب على جيفة) ومن كلب على عرق ، والعرق بالفتح : العظم عليه اللحم ، أو الذي أكل لحمه . وقالوا أيضا (الأمُ من كلب على عرق) و(أنهمُ من كلب) . وكَسَابِ كَقَطَامِ مبنيا على الكسر : الذئب ، كما في القاموس ، وفي الصحاح والمخصص أنه اسم كلبة ، وهو الذي أرادته الناظم . وقد مر بك بيت لبيد الذي ذكر فيه كلبة تسمى بهذا الاسم . ومثله كَسَبَةٌ بالفتح ، قال الأعشى :

وَلَزَّ كَسَبَةً أُخْرَى فَرَعُوهَا فَهَقُ .

(١٦) العَوْنُ بفتح العين المهملة وسكون الواو وفتح اللام وبعدها قاف : الكلبة الحريصة . والمعاوية الكلبة المستحرة تعوى إلى الكلاب . ومن طريف

ما يحكى أن جارية بن قدامة دخل على أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان ، فقال له : ما كان أهونك على أهلك إذ سموك جارية ! فقال : وما كان أهونك على أهلك إذ سموك معاوية ! وهى الأنثى من الكلاب . ويروى أن شريك بن الأعور دخل عليه وكان دميما ، فقال له معاوية : إنك لدميم والجميل خير من الدميم ، وإنك لشريك وما لله شريك ، وإن أباك لأعور والصحيح خير من الأعور ، فكيف سدت قومك ؟ فقال له : إنك معاوية ، وما معاوية إلا كلبة عوت فاستعوت الكلاب ، وإنك لابن صخر والسهميل خير من الصخر ، وإنك لابن حرب والسلم خير من الحرب ، وإنك لابن أمية ، وما أمية إلا أمة صُفِّرت ، فكيف صرت أمير المؤمنين ؟ !

ويشبه هذا ما رواه أبو هلال فى الصناعتين : أن رجلا من قریش قال لخالد بن صفوان : ما اسمك ؟ قال خالد بن صفوان بن الأهم ، فقال الرجل : إن اسمك الكذب ، ما خلد أحد . وإن أباك لصفوان ، وهو حجر . وإن جدك لأهم ، والصحيح خير من الأهم . قال خالد : من أى قریش أنت ؟ قال : من بنى عبد الدار . قال : فمثلك يشتم تميم فى عزها وحسبها ، وقد هشمتك هاشم ، وأمتك أمية ، وجمعت بك جمع ، وخزمتك مخزوم ، وأقصتكم قصي ، فجعلتكم عبد دارها ، وموضع شئناها ؛ تفتح لهم الأبواب إذا دخلوا ، وتغلقها إذا خرجوا ! انتهى .

واللغة بفتح اللام وسكون العين المهملة ، واللعاة بفتح الحين : الكلبة من غير تخصيص بشره وحرص ، وقال الجاحظ فى كتاب « الحيوان » : يقال أحرص من لغة ، وهى الكلبة . وفى اللسان ومجمع الأمثال للميدانى : ( أجوع من لغة ) .  
( ١٧ ) العُسْبُورَةُ بضم العين وسكون السين المهملتين وضم الباء الموحدة

وبعدها واو ساكنة وراء وهاء : ولد الكلب من الذئبة ، ويقال له : العسبور أيضاً ، ولهذا قال الناظم ( وإن تزل ها لا تلم ) أى إن نطقت به بدون هاء لا يلومك إنسان ، لأنه مسموع .

(١٨) الخَيْهَفَعَى بفتح الخاء المعجمة وسكون الياء المثناة التحتية ، وفتح الهاء والفاء والعين المهملة مقصوراً : ولد الكلب من الذئبة . وقد سمع أيضاً بالمد . وفي اللسان : حكى الأزهري عن أبي تراب قال : سمعت أعرابياً من بني تميم يكنى أبا الخَيْهَفَعَى ، وسألته عن تفسير كنيته ، فقال : يقال إذا وقع الذئب على الكلبة جاءت بالسَّمْع ، وإذا وقع الكلب على الذئبة جاءت بالخَيْهَفَعَى . قال : وليس هذا على أبنية أسمائهم مع اجتماع ثلاثة أحرف من حروف الحلق ، وقال عن هذا الحرف وعما قبله في باب رباعي العين في كتابه : وهذه حروف لا أعرفها ، ولم أجد لها أصلاً في كتب الثقات الذين أخذوا عن العرب العاربة ما أودعوا كتبهم ، ولم أذكرها وأنا أحقها ، ولكني ذكرتها استنداراً لها وتعجباً منها ، ولا أدري ما صحتها . انتهى .

(١٩) الدَّيْسَم بفتح الدال المهملة وسكون الياء المثناة التحتية وفتح السين المهملة وبعدها ميم : ولد الثعلب من الكلبة ، أو ولد الذئب منها . هكذا في القاموس واللسان ، وقال الجوهري في الصحاح : الدَّيْسَم : ولد الذئب ، قال : وقلت لأبي الفوثن : يقال إنه ولد الذئب من الكلبة ، فقال : ما هو إلا ولد الذئب . انتهى . وقال الجاحظ : إنه ولد الذئب من الكلبة ، وهو أغبر اللون ، وغبرته ممتزجة بسواد .

(٢٠) الهَرَاكَلَة بفتح الهاء والراء وكسر الكاف وفتح اللام : كلاب الماء ، وقول ابن أحرر الباهلي يصف دُرَّة :



رَأَى مِنْ دُونِهَا الْغَوَاصُ هَوْلًا هَرَاكَلَةً وَحِيَتَانَا وَنُونًا  
فسره الأزهري في التهذيب بكلام الماء . وقال الصاغاني في العُباب : هي  
جمال الماء ، وقيل : هي ضخام السمك .

(٢١) الْقُنْدُسُ كَقُنْفُذٍ ، أى بضم القاف وسكون القون وضم الدال المهملة  
وبعدها سين مهملة : كلب الماء . أهمله القاموس واللسان والمخصص ، وذكره شارح  
القاموس والدميري في حياة الحيوان ، ونسبوا تفسيره بذلك لابن دحية . كما ذكره  
الناظم ، وعبارته تفيد أنه أُهْمِلَ ونُسِيَ .

(٢٢) الْقَضَاعَةُ بضم القاف وفتح الضاد المعجمة والعين المهملة : اسم كلبية الماء .  
(٢٣) شرع الناظم في هذا البيت وما بعده يعدد أسماء ابن آوى ، تبعاً لمن  
عده نوعاً من الكلاب ، فذكر من أسمائه : الدَّالُّ بفتح الدال المهملة وسكون الهمزة  
وبعدها لام . والدَّالُّ بضم فكسر ، وقد نصوا على أن لا نظير لها إلا : رُئِمَ .  
والشَّوْلُ بضمّتين . والدَّالُّ لأن محرّكة ، ويقال فيه الدَّالُّ لأن بفتح الدال المعجمة ،  
والدَّوْلَانُ بضمها ، إلا أن الهمزة فيهما ساكنة . والعِلْوُش بكسر العين المهملة  
وفتح اللام المشددة ، وسكون الواو وبعدها ضاد معجمة . والنَّوْفَلُ بفتح النون  
وسكون الواو وفتح الفاء وبعدها لام . واللَّوْش بكسر اللام وسكون العين  
المهملة وفتح الواو ، وبعدها ضاد معجمة . والشَّرْحُوب بضم السين المهملة وسكون  
الراء وضم الحاء المهملة وبعدها واو ساكنة وباء موحدة . والوَعُ بفتح الواو  
وبعدها عين مهملة مشددة . والعِلْوُش بكسر العين المهملة وفتح اللام المشددة  
وبعدها واو ساكنة وشين معجمة . والوَعُوع بفتح الواوين وإسكان العين  
الأولى المهملة . والشَّعْبَرُ بفتح الشين وإسكان العين المعجمتين ، وفتح الباء الموحدة  
وبعدها راء ؛ وبالزاي المعجمة تصحيف . والوَأَوَاء بفتح الواوين وسكون الهمزة  
الأولى . وكلها من أسماء ابن آوى .

هذا ما أردنا بيانه، ويتبين منه ثلاثة أمور :

الأول : أن الناظم — رحمه الله — مع استيفائه لكثير من أسماء الكلب قد أدرج فيها بعض صفات يشترك فيها الكلب مع غيره ، ولم نجد مع كثرة البحث نصا على أنها غلبت عليه ، حتى يمكن عدها في أسمائه ؛ كذكره الزاهد والمُنذر ، وداعى الكرم ، ومشيد الذكر ونحوها . فالظاهر أنه تسامح في إيرادها ، أو يكون وقف فيها على ما لم تقف عليه . وفوق كل ذى علم عليم .

الأمر الثانى : إirاده أربعة أعلام مشهورة للكلاب نص منها على ثلاثة ، وهى : كُسَيْبٌ وَكَسَابٌ وَكَسْبَةٌ ، وسكت عن واحد وهو سُحَايمٌ ، فدل بسكوته على عده من أسماء الأجناس ، وكلاهما لا يبرهنه من مَعْرِةِ المَعْرِى ؛ لأن جعل سُحَام اسم جنس وَهْمٌ ظاهر . وإيراد ثلاثة أعلام خارج عن مقصود أبى العلاء . إلا أن يكون أوردتها زيادة منه فى الفائدة . وهو أيضاً تقصير ، لاقتصاره عليها ، مع وجودها هو أشهر منها .

الأمر الثالث : ما فاته من أسمائه ، وهو ما نريد استدراكه هنا ، وبعضه مر أثناء الشرح . فمنها :

« الدَّرْوَاسُ » بكسر أوله ، وهو الغليظ العنق من الكلاب ، وقيل الكبير الرأس منها ، وقول بعضهم :

بِتَنَّا وَبَاتَ سَقِيطُ الطَّلِّ يَضْرِبُنَا عِنْدَ النَّدُولِ قِرَانَا نَبْحُ دِرْوَاسٍ

قيل : إن أولى ما يفسر به : الكلب ، لقوله : قِرَانَا نَبْحُ دِرْوَاسٍ ؛ لأن النبح إنما هو فى الأصل للكلاب . وقوله : النَّدُولُ ، يجوز أنه عنى به امرأة أو رجلا من النَّدُل وهو شبيه الوسخ ، أو عنى به كَلْبَةٌ . ورواه الجاحظ فى كتاب الحيوان : ( بين

(البيوت) . وِدِرْوَاسٌ أيضاً : اسم كلب بعينه . والأظهر أن البيت قيل فيه ، أو في كلب آخر يسمى بهذا الاسم .  
و «الأَرْشَم» قالوا سمي بذلك لتشمة الطعام وحرصه . وقد يطلق أيضاً على الذئب .

و «العِفْرَاسُ» بالكسر ، وهو الشديد العنق الغليظة من الكلاب ، ومثله .  
«العِفْرَنَسُ» . و «الْقَلَّاطُ» بالضم و «الْقِيلِيطُ» بالكسر كلاهما القصير المجتمع ، ويقال فيهما : القَلَطِي ، وقد ذكره الناظم .

«والأَغْضَفُ» ومثله «الغاضِفُ» وهو المسترخى الأذن من الكلاب ، وفرق بينهما ابن الأعرابي فقال : الغاضف من الكلاب المتكسر أعلى أذنه إلى مُقَدِّمِهِ ، والأغضف إلى خلفه ، كذا في اللسان . ثم قال : والغضف : كلاب الصيد من ذلك صفة غالبية . انتهى : وقول لبيد :

حَتَّى إِذَا يَلِيَسَ الرَّمَاةُ وَأَرْسَلُوا غُضْفًا دَوَاجِنَ قَافِلًا أَغْصَامُهَا  
أَرَادَ كِلَابَ الصَّيْدِ .

و «ابنُ بَقِيعٍ» بالتصغير ذكره ابن الأثير في المَرَصَع . و «ابنُ وَازِعٍ وابنُ زَارِعٍ وابنُ ذَارِعٍ وابنُ ذِرَاعٍ وابنُ بَوَزِعٍ وابنُ عَوَلَقٍ»  
فهذه خمسة عشر اسماً للكلب فانت الناظم .  
وفاته من أسماء أولاده :

«الضَّرْوُ» بالكسر ، وهو الضاري من أولاد الكلاب . ومثله «الضَّرِي» .  
و «الْأَسْبُورُ» وهو ولد الكلب من الضَّبُع ، كما في حياة الحيوان ومجمع الأمثال ، عند تفسير قولهم : «أَسْمَعُ من سَمْعٍ» .  
وفاته من أسماء ابن آوى :

« البُرْعُل » بالضم ، وهو ولد الوَبْر من ابن آوى .  
وفاته من أسماء الكلبة :

« الأَمَاء » بفتحتين ، وهى الكلبة الحريصة ، أو الكلبة مطلقاً من غير تخصيص .  
« والبَوَزْعُ » وهى الكلبة الحريصة ، كما فى الرصع .

وفاته من كنى الكلب : « أبو حاتم » . و « أبو ذراع » . و « أبو قيس »  
و « أبو عامر » لأنه يعمر بيت صاحبه بحراسته إياه . و « أبو عطاف » بكسر العين  
والتخفيف ، لأنه يعطف على أصحابه ، قال العجاج يصف صائداً :

ذَا أَكْلَبِ كَالْأَشْهَمِ الْعِطَافِ    يُشْلِي عِطَافًا وَأَبَا عِطَافِ

كذا فى الرصع . ورواية الديوان : ذَا أَكْلَبِ نَوَاهِزِ خِفَافِ .  
ومن أمثالهم فى هذا المعنى : « آلفُ مِنْ كَلْبٍ » .

ولهم فى وفاء الكلب وعطفه على صاحبه أقوال ونوادير كثيرة ، وربما فضلوه  
فى ذلك على الصاحب والخليل . وقد جمع منها ابن المرزبان جملة صالحة فى كتاب  
سماه : « فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب » وقفت عليه ونقلت منه فى  
هذه الرسالة . ومن وقف على ما كتبه الجاحظ عن الكلب فى كتاب « الحيوان »  
رأى عجباً عجاباً . ويذكرون من نوادر وفاته أن الربيع بن بدر كان له كلب قد  
رباه ، فلما مات جعل الكلب يتضرب على قبره حتى مات . ولما مات عامر بن  
غبرة لزمته كلابه قبره حتى ماتت عنده ، وتفرق عنه الأهل والأقارب . وقال  
الشعبي : خير خصلة فى الكلب أنه لا ينافق فى محبته . وأنشد القالى فى  
أماليه لأعرابي :

كَلَابُ النَّاسِ إِنْ فَكَّرْتَ فِيهِمْ    أَضُرُّ عَلَيْكَ مِنْ كَلْبِ الْكَلَابِ

لأن الكلب لا يؤذى صديقاً    وأن صديق هذا فى عذاب

ويأتي حين يأتي في ثياب وقد حُزمت على رجل مُصَاب  
فأخزي الله أثواباً عليه وأخزي الله ما تحت الثياب  
ومن أغرب ما رأيته ما حكاه الجرجاني في كنيائته عن محمد بن حرب قال :  
رأيت العتّابيَّ ينادم كلباً ، يشرب كأساً ويولّغه كأساً . فكلّمته في ذلك ، فقال :  
إنه يكف عني أذاه وأذى سواه ، ويشكر قليلي ، ويحفظ مبيتى ومقبلي ، فهو من  
بين الحيوان خليلي . قال ابن حرب : فتمنيت أن أكون كلباً لأحوز هذا  
النفعة . انتهى . وقد ذكر ابن المزيان هذه القصة لإبراهيم الموصلي مع الفضل  
ابن يحيى ببعض اختلاف . والله أعلم .

ولم يذكر الناظم من كُنى الأئمة شيئاً وهي :

« أم عولق » و « أم ذراع » و « أم الهمّرش » بتشديد الميم المفتوحة كما في  
المرصع : وفي القاموس واللسان : الهمّرش اسم كلبة . و « أم يعفور » قال في  
المرصع : هي الكلبة ، وأنشد :

يا أم يعفور سَقَاكِ العهدُ لا زال من صَيْدِ عَلَيْكِ لِبْدُ

يقول : لا زال عليك مما تصيدين لبداً من وَبَر الأرانب وغيرها . واليعفور في  
الأصل : ولد الظبية وولد البقرة الوحشية . و « أم العاويات » والعاويات أولادها .  
وكذلك لم يذكر من كُنى ابن آوى شيئاً ، وهي :

« أبو ذؤيب » . و « أبو كعب » . و « أبو معاوية » . و « أبو أيوب » .  
و « أبو وائل » . والله أعلم .

أما أعلام الكلاب المشهورة التي عنوا بذكرها فكثيرة منها :

سُحَيْمٌ ، وَطِحَالٌ ، وَأَكْدَرٌ ، وَوَأَشِقٌ ، وَزُهَانٌ ، وَمَيْلَعٌ ، وَبَرَأْقِشٌ ،  
وَجَدْلَاءُ : كَلْبَاتُ . وَالْمُخْتَلِسُ ، وَغَلَابٌ ، وَالْقَنْيِصُ ، وَسَلْهَبٌ ، وَسِرْحَانٌ ،

المِغْنَاطِيسُ، هي خمسة أكلب كانت لرجل اسمه ذريح، وآخر اسمه أبو دُجَانَةَ، صيدان بها الطباء .

وقرَّحان : اسم كلب له قصة تحاميت عن ذكرها ، حبس سيدنا عثمان بن عفان بسببها ضابط بن الحارث البرهمي .

وضمَّرن بالضم وبالفتح ، وروى بهما في قول النابغة :

فهاب صمَّرانُ منه حين يوزَّعه طمُنُ لِمعارِكِ عِنْدَ الْمُجَحَّرِ النَجْدِ .  
هو اسم كلب .

وضبَّار بتشديد الباء الموحدة ، الذي قال فيه الحارث بن الخزرج الحفاجي :  
سفرت فقلت لها هجج فتبرَّقت فذَكَرْتُ حينَ تبرَّقت ضبَّارًا  
وترَّيَنْتُ لتروعي بحمَّالها فكأنَّما كُسيَ إِحْمارُ خمارًا  
نخرجتُ أَعثرَ في قَوادِمِ جُبِّي لولا الحياءَ أَطَرَّتْهَا إِحْضارًا  
هو اسم كلب له ، وقوله : هجج زجر لسكران . وكان لسليمان بن داود الهاشمي .  
كلب صيد يسمى زُبُورًا ، وفيه يقول أبو نواس :

إِذَا الشَّيَاطِينُ رَأَتْ زُبُورًا قَدْ قُلِّدَ الْحَلَقَةَ وَالسُّيُورًا  
من أوجوزة يقول في آخرها :

فَأَمْتَعَ اللَّهُ بِهِ الْأَمِيرَا رَبِّي وَلَا زَالَ بِهِ مَسْرُورَا

ومن طرائفهم ما رواه الراغب في محاضراته لأبي محجن ، في رجل اسمه :  
وَنَاب واسم كلبه : عمرو ، ورواهما في موضع آخر من هذا الكتاب لابن أبي عتيق ،  
باختلاف في الرواية .

وَلَوْ هَبَا لَهُ اللَّهُ مِنْ التَّوْفِيقِ اسْتَبَابَا  
اسْمَى نَفْسَهُ عَمْرًا وَسَمَّى الْكَلْبَ وَنَابَا

قلت : تذكرت بهذين البيتين قصة ظالم ، لما جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يريد الإسلام ، وكان معه كلب له اسمه : راشد ، فسأله عليه السلام عن اسمه واسم كلبه ، فلما أخبره ضحك عليه السلام ، وقال : اسمك راشد واسم كلبك ظالم . وفي رواية أنه كان يسمى غاوى بن ظالم ، فسماه عليه السلام راشد بن عبد الله . وسبب إسلامه أنه كان سادنا لصنم اسمه سواع ، فرأى يوماً ثعلباً يعدو عليه ببوله ، فكسره ، وقال فيه :

أَرَبُّ يَبُولِ الثُّعْلُبَانِ بِرَأْسِهِ      لَقَدْ ذَلَّ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثُّعَالِبُ

وفي القصة ، ورواية هذا البيت ونسبته لراشد ، اختلاف ليس هذا محل ذكره . وكان لميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها كلب اسمه مِسْمَارٌ . قال صاحب القاموس : إنه مرض ، فقالت : وارْحَمْتَا لِمِسْمَارٍ . وفي كتاب « فضل السكلاب على كثير من لبس الثياب » لابن العَرُزْبَان ، أنها رضي الله عنها كانت إذا حيَّجت خرجت به معها ؛ فليس يطعم أحد في القرب من رَحْلِها مع مِسْمَارٍ ، فإذا رجعت جعلته في بني جَدِيلَةَ ، وَأَنْفَقَتْ عليه ، فلما مات قيل لها : مات مِسْمَارٌ ، فبكت . وقالت : فُجِئْتُ بِمِسْمَارٍ .

وفي هذا القدر كفاية فقد كدنا نخرج عن المقصود . ولولا خوف الإطالة لذكرت أيضاً ما ورد من أمثالهم في السكلب ، وهي كثيرة تربو على خمسة وخمسين مثلاً ، على أن ما ذكرناه وإن طال فلا يخلو من فائدة ، وفي التنقل جِئَامُ الْأَنْفُسِ .

## رَجْعٌ إِلَى أَبِي الْعَلَاءِ

وعلى الجملة فلا يختلف اثنان في علمه وفضله ، ووقوفه على دقائق العربية ،  
لا عبرة بمن لحنه في قوله :

يَذِيبُ الرِّعْبُ مِنْهُ كُلَّ عَضْبٍ      فَلَوْلَا الْغَمْدُ يَمْسِكُهُ لَسَالًا  
بأن مذهب الجمهور وجوب حذف الخبر بعد لولا ، بناء على أنه لا يكون إلا  
كونا مطلقا ، فإذا أريد السكون المقيد جعل مبتدأ ، فكان عليه أن يقول : فلولا  
مسالك الغمد إياه لسال ، أى موجود ؛ وأما التركيب الذى أتى به فتركيب فاسد .  
تتهى .

قلت : وهذا المخطئ<sup>١</sup> هو المخطئ<sup>٢</sup> لاحتمال تقدير يمسكه جملة معترضة بين المبتدأ  
والجواب والخبر محذوف ، أو تقدير يمسكه بدل اشتغال على أن الأصل أن يمسكه ،  
ثم حذف أن وارتفع الفعل ، وعلى هذا فالخبر محذوف أيضا . والمعنى : فلولا الغمد  
إمسكه موجود لسال . انتهى ملخصا من المعنى وحواشيه . هذا إذا خرجنا  
البيت على مذهب الجمهور الذى تمسك به المعارض ، والمذهب الحق ما ذهب إليه  
ابن مالك والرماني وابن الشجري والشلوبين ؛ بأن الخبر إذا كان كونا مقيدا ،  
ولم يدل عليه دليل ، وجب ذكره ، وإن دل عليه دليل جاز إثباته وحذفه . وعليه  
فلا وجه للتخطئة في البيت ، فضلا عن ورود مثله في الكلام الموثوق به .

وأما ذكاؤه وسرعة فهمه وقوة حافظته ؛ فقد رووا فيها غرائب ، منها ما ينبو  
العقل عن تصديقه . وقد صرح صاحب معاهد التنصيص بأن للناس في ذلك  
حكايات مشهورة يضعونها ، وغالبها مستحيل . إلا أن اشتراط استيفاء أخباره  
بقضى بذكر ما وقفنا عليه منها ، وعلى القارئ تمييز الغث من السمين .

فمن ذلك : ما نقل عن تلميذه التبريزي أنه كان قاعدا بين يديه في مسجد بمصر



النعمان يقرأ عليه شيئاً من تصانيفه . قال : وكنت أقمت عدة سنين لم أر أحداً من أهل بلدى ، فدخل المسجد بعض جيراننا للصلاة ، فرأيتُه وعرفته ، فتغيرت من الفرح ، فقال لى أبو العلاء : أى شىء أصابك ؟ فأخبرته خبر الرجل ، فقال : قم وكلمه ، فقلت : حتى أتم النسق ، فقال : قم وأنا أنتظرك ، فقامت وكلمته بلسان الأذريّة شيئاً كثيراً ، إلى أن سألت عن كل ما بدا لى . فلما رجعت إليه قال لى : أى لسان هذا ؟ قلت : هذا لسان أهل أذربيجان . فقال لى : ما عرفت اللسان ولا فهمته ، غير أنى حفظت ما قلتما ، ثم أعاد على اللفظ بعينه من غير أن ينقص منه أوزيد ، فتعجبت غاية العجب ، كيف يحفظ ما لم يفهمه .

ومنه : مارواه بعض طلبته ، أن جارا له أعجميا غاب عن المعرة ، وحضر رجل من بلده يبحث عنه ، فوجده غائبا ، ولم يمكنه المقام ، فأشار عليه أبو العلاء أن يذكر حاجته ، فجعل الرجل يتكلم بالفارسية وأبو العلاء مصغرا إليه ، ولم يكن يعرفها ، إلى أن فرغ من كلامه ، ومضى الرجل . وقدم جاره الغائب ، فجعل أبو العلاء يردد عليه ما سمعه بلفظه ، والرجل يبكى ويستغيث ويلطم ، إلى أن فرغ من الحديث . وسئل عن حاله ، فأخبر أنه أخبر بموت أبيه وإخوته وجماعة من أهله . وهذه الحكاية حكها الوطواط فى « الغرر والعُرر » على غير هذا الوجه . قال :

ومن عجيب حكاياته أن أبا زكريا التبريزى كان يقرأ عليه فأتاه رسول من عند أهله من تبريز ، فجاء حَلَقَة أبى العلاء ، فسأل عنه ، فأخبر أنه غائب فى بعض شأنه . فقال له أبو العلاء : ما تريد به ؟ قال : جئت برسالة من عند أهله . فقال : هاتها حتى نوصلها إليه ، قال : إنها مشافهة ، قال : فأسمعناها حتى نوصلها إليه . قال : إنها بالفارسية . قال : لا عليك أن تسمعناها ولا تسقط منها حرفا . فأوردها عليه . فلما جاء التبريزى أخبر أن رجلا جاء من تبريز ومعه رسالة

من أهله ، فقال : ليتكم أخذتموها منه ، فإني مشوق لما يرد من أخبارهم . فقيل له : إنه قال إنها مشافهة . فتأسف لذلك . فلما رأى أبو العلاء تأصفه ، قال له : لا عليك ، إني سمعتها منه وحفظتها . ثم أملاها عليه . فجعل التبريزي يضحك مرة ، ويبكي مرة ، فسأله أبو العلاء عن ضحكه وبكائه ، فقال : تارة تخبرني بما يسرني فأضحك ، وتارة تخبرني بما يحزنني فأبكي . انتهى .

ومنه : ماحكاه الأمير أسامة بن مُنقِذ ، قال : كان بأنطاكية خزانة كتب ، وكان الخازن بها رجلاً علويًا ، فجلستُ يوما عنده ، فقال لي : قد خبأت لك خبيثة لم تسمع بمثلها في تاريخ . فقلت : وما هي ؟ قال : صبي دون البلوغ ضرير يتردد إلى ، وقد حفظته في أيام قلائل عدة كتب ، وذلك أني أقرأ عليه الكراسة والكراستين مرة واحدة ، فلا يستعيد إلا ماشك فيه ، ثم يتلو علي ما سمعه . قلت : فلعله يكون محفوظا له ! فقال : سبحان الله ! كل كتاب في الدنيا يكون محفوظا له ، ولئن كان كذلك فهو أعظم . ثم حضر المشار إليه ، وهو صبي دميم الحلقة ، مجذّر الوجه ، على عينيه بياض من أثر الجدرى ، كأنه ينظر بإحدى عينيه ، وهو يتوقد ذكاء ؛ يقوده رجل طويل أحسبه من أقاربه . فقال له الخازن : يا ولدي ، هذا السيد رجل كبير القدر ، وقد وصفتك له ، وهو يحب أن تحفظ اليوم ما يختاره لك ، فقال : سمعا وطاعة ، فليختر ما يريد . قال ابن منقذ : فاخترت شيئا وقرأته عليه وهو يموج ويستزيد ، فإذا مر بشيء يحتاج إلى تقريره في خاطره ، يقول : أعد هذا ، فأعيدته عليه ، حتى أتيت على ما يزيد على كراسة ، ثم قلت : يُقنع هذا من قبل نفسي . قال : أجل حرسك الله . وتلّا علي ما أمليته عليه ، وأنا أعارضه بالكتاب حرفا حرفا ، فكاد عقلي يذهب لما رأيت منه ، وعلمت أن ليس في العالم من يقدر على ذلك إلا إن شاء الله . وسألت عنه ،

قيل لى : هذا أبو العلاء المعرى من بيت العلم والقضاء والثروة والغنى . هكذا يروون هذه الحكاية ، والأمير أسامة المذكور ولد سنة ٤٨٨ هـ أى بعد موت أبي العلاء بنحو تسع وثلاثين سنة ، فالقصة على هذا موضوعة ، اللهم إلا أن تكون وقعت مع بعض أمراء بني متقذ ، ممن تقدم أسامة .

ومنه : أن سَمَانًا حاسب عميلاً له برقاع كان يثبت فيها ما يأخذه منه عند حاجته ، وكان أبو العلاء فى غرفة يسمع محاسبتهما ، وبعد مدة ضاعت الرقاع من السَمَان ، فأخذ يتململ ويتأذى . وبلغ أبا العلاء خبره ، فقال له : ما عليك من بأس ، أنا أُملى عليك حسابه . وجعل يمليه عليه على ما فى الرقاع رقعة رقعة ، والسَمَان يكتبها . ثم وجد بعد ذلك رقاعه ، فإذا هى مطابقة لما أملاه أبو العلاء . وهذا إن صح ، فهو غاية الغايات فى قوة الحفظ والتعليق .

وقريب مما تقدم ، ما روى عن أبي تمام حين سمع البحترى ينشد قصيدته التى أولها :

أَأَفَاقُ صَبٍّ مِنْ هَوًى فَأُفَيْقَا      أُمْ خَانَ عَهْدًا أُمْ أَطَاعَ شَفِيقَا

فلما فرغ من إنشادها ، أقبل عليه باللوم والتقريع ، واتهمه بسرقة شعره ، ثم اندفع يعيد القصيدة حتى أتى على أكثرها . والقصة مشهورة . ومثله ما روى عن المتنبي فى حفظه كتاباً عرض عليه للبيع فى نحو ثلاثين ورقة . وروى مثله الإمام أبو العباس اللبرّد ، وهو الثقة فيما ينقل ، فذكر فى كامله أن ابن عباس رضى الله عنه لما أنشده عمر بن أبى ربيعة كلمته : (أَمِنْ آلٍ نَعْمٍ أَنْتَ غَادٍ قَمْبَسِكِرُ) ، ولم يكن سمعها من قبل ، استظهرها من مرة واحدة ، وأعادها على الحضور . إلا أن ما نقل عن المعرى يفوق كل ذلك .

وذكروا أن أبا نصر أحمد بن يوسف المنازى ، دخل على أبى العلاء وهو

بالشام في جماعة من أهل الأدب ، وأنشده قوله :

وَقَانَا لَفَحَةَ الرَّمْضَاءِ وَادٍ سَقَاهُ مُضَاعَفُ الْغَيْثِ الْعَمِيمِ

نزلنا دوحه<sup>(١)</sup> فحنا علينا حنو المرضعات<sup>(٢)</sup> على القطيم

وأرشفنا<sup>(٣)</sup> على ظمأ زلالا ألد من المدامة للنديم

يصد الشمس أنى واجهتنا فيحجبها ويأذن للنسيم

تروع حصاه حالية العذارى فتلمس جانب المقد النظيم

فقال أبو العلاء : أنت أشعر من بالشام . ثم رحل أبو العلاء إلى بغداد ،

فدخل عليه المنازي في جماعة من أدباؤها ، وهو لا يعرف منهم أحداً ، فأنشده

من أشعارهم ، وأنشده المنازي :

لقد عرض الحمام لنا بسجع إذا أصنى له ركب تلاحي

شجي قلب الخلق فليل : غنى وبرح بالشجي فليل : نأحا

وكم للشوق في أحشاء صب إذا اندملت أجدها لها جراحا

ضعيف الصبر عنك وإن تقاوى وسكران الفؤاد وإن تصاحا

كذلك بنو الهوى سكرى صحاة كأحداق المها مرضى صحاحا

فقال أبو العلاء : ومن بالعراق ! عطفاً على قوله : من بالشام . والراجح عندي

أن هذه القصة موضوعة ، لا لغرابتها ، فإن فيما تقدم في قصته مع السَّتان وغيره

ما هو أغرب وأعجب ، ولا يبعد على من يستظهر أوراق الحساب رقعة رقعة ،

أن يسمع صوت المنازي ونغمته في إنشاده ، فيعيه ويعرفه بعد ذلك من كلامه ؛

بل لأن الثابت في الأبيات الميمية أنها لحدونة<sup>(٤)</sup> بنت زياد الأندلسية ، أثبت

(١) ويروى : نطل غصونه تمنو علينا .

(٢) ويروى : الوالدات .

(٣) ويروى : وأسفانا .

(٤) ورد اسمها في بعض التواريخ : حمدة ، وفي بعضها : حميدة ، وفي بعضها : حدونة .

ذلك مؤرخو الأندلس ، وجزم به أبو جعفر الرعيني الأندلسي ، وهو من الراحلين إلى المشرق . وملخص ما قاله في شرحه على بديعية صاحبه ابن جابر : أن بعض المشاركة غرهم بعد ديارها ، وخلو بلادهم من آثارها ، فانتحلوا أشياء من شعرها . ومن ذلك نسبتهم أبياتها الميمية المنازى من شعرائهم . قال : وقد رأيت بعض المؤرخين من أهل بلادنا أثبتوها لها قبل أن يخرج المنازى من العدم إلى الوجود ، ويتصف بلفظة الوجود . انتهى . أما الأبيات الحائية فالراجح أنها للمنازى ، ونسبها الصفدي في شرحه على لامية العجم لابن قاضي ميلة . والله أعلم .

وقال كمال الدين بن العديم في تاريخ حلب : بلغني أن المنازى عمل هذه الأبيات ليعرضها على أبي العلاء ، فلما وصل إليه أنشده إياها ، فجعل كلما أنشده المصراع الأول من كل بيت ، سبقه أبو العلاء إلى المصراع الثاني الذي هو تمام البيت كما نظمه . ولما أنشده : ( نزلنا دَوْحَهُ فحنا علينا ) قال أبو العلاء : ( حنو الوالدات على الفطيم ) فقال المنازى : إنما قلت على اليتيم . فقال أبو العلاء : الفطيم أحسن . انتهى والله أعلم .

قلت : الشيء بالشيء يذكر ، والحديث ذو شجون . والذي ذكره ابن العديم له نظائر . منها ما رواه طيفور في تاريخ بغداد عن عمارة بن عقيل . قال : أنشدت المأمون قصيدة فيها مديح له تبلغ مائة بيت ، فابتدأت بصدر البيت فبادرني إلى قافيته ، فقلت : والله يا أمير المؤمنين ما سمعها مني أحد قط . قال : هكذا ينبغي أن يكون ، ثم أقبل علي ، فقال : أما بلغك أن عمر بن أبي ربيعة أنشد عبد الله ابن عباس قصيدته التي يقول فيها :

\* تَشُطُّ غَدَاً دَارَ جِيرَانِنَا \*

فقال ابن عباس :

\* وَلَلدَّارُ بَعْدَ غَدٍ أْبَعَدُ \*

ثم قال للمأمون : أنا ابن ذاك . وفي « تحرير التحبير » لابن أبي الإصبع أن ابن عباس لما كمل البيت ، قال له ابن أبي ربيعة : هكذا والله قلت . فقال عبد الله : وهكذا يكون .

وروى أن جريراً والفرزدق حضرا مجلس الوليد بن عبد الملك ، وعدي بن الرقاع ينشد قصيدته :

عَرَفَ الدِّيَارَ تَوْحَمًا فَاعْتَادَهَا      مِنْ بَعْدِ مَا دَرَسَ الْبَيْلَى أَبْلَادَهَا  
فَلَمَّا أَتَاهُ إِلَى قَوْلِهِ : تَرْجِي أَغْنَى كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ

تشاغل الوليد عن الاستماع ، وقطع عدي الإنشاد ، فقال الفرزدق لجرير : ما تراه يقول ؟ فقال : أراه يستلب بها مثلاً ، فقال الفرزدق : يا لكرم ! إنه سيقول : قلم أصاب من الدواة يدادها . ثم عاد الوليد إلى الاستماع ، وعاد عدي إلى الإنشاد ، فنطق بالعجز كما قال . فقال جرير للفرزدق : ويحك ! فكأن سمعت نخبوء تحت لسانه ، فقال له : اسكت ، شغلني سبك عن جيد الكلام ، والله لما سمعت صدر بيته رحيمته ، فلما أنشد عجزه انقلبت الرحمة حسدا . وفي رواية العقد الفريد عن الأصمعي أن جريراً هو السابق لعجز البيت لا الفرزدق . وقال زكي الدين بن أبي الإصبع في « تحرير التحبير » : الذي أقوله : إن بين ابن عباس وبين الفرزدق في استخراجهما العجزين كما بينهما في مطلق الفضل ، وفضل ابن عباس رضى الله عنهما معلوم ، وأنا أذكر الفرق . فإن بيت عدي بن الرقاع من جملة قصيدة تقدم سماع معظمها ، وعلم أنها دالية مردفة بألف موصولة مخرجة بألف منصوبة الروى من وزن معروف ، ثم تقدم في صدر البيت ذكر ظبية تسوق خشفاً لها ، قد أخذ الشاعر في تشبيهه طرف قرنه مع العلم بسواده ، وفي ذلك ما يدل على عجز البيت بحيث

يسبق إليه من هو دون الفرزدق من حذاق الشعراء . وببيت عمر مفرد لم تعلم قافيته من أى ضرب هى من القوافى ، ولا رويته من أى الحروف ، ولا حركة رويته من أى الحركات ، فاستخراج عجزه ارتجالاً فى غاية العسر ، ونهاية الصعوبة ، لولا ما أمد الله به هؤلاء القوم من المواد التى فضلوا بها عن غيرهم . ومن حذق عبد الله ابن العباس رضى الله عنهما ، ودقيق معرفته باختيار الكلام ، جعله قافية الذى أتى به (أبعد) ولم يجعلها (أنزح) وكان ذلك ممكناً له ، لكون (أبعد) أسرع ولوجاً فى السمع ، وأسبق إلى الذهن ، وأدخل فى القلب ، وأكثر استعمالاً ، وأعرف عند الكافة ، وبها جاء القرآن العزيز دون أنزح ، وهى أحب إلى اللسان ، وأولى بالبيان . انتهى كلامه بنصه .

وقد عني أن أورد هنا قصيدة عدي بن الرقاع ، لأنها لا توجد برمتها فى كتب الأدب المتداولة فى الأيدى ، مع تشوق كثير من الأدباء للوقوف عليها .

قال عدي بن الرقاع يمدح الوليد بن عبد الملك أحد الخلفاء من بني أمية :

|   |  |
|---|--|
| عَرَفَ الدِّيَارَ تَوْثَمًا فَأَعْتَادَهَا <sup>(١)</sup> | مَنْ بَعْدَ مَا دَرَسَ الْبَيْلَى أَبْلَادَهَا             |
| إِلَّا رَوَاسِيَ كُلَّهَا قَدْ اضْطَلَى                   | جَمْرًا وَأَشْعَلَ أَهْلَهَا <sup>(٢)</sup> إِيقَادَهَا    |
| كَانَتْ رَوَاحِلَ الْقُدُورِ فَعُرِّبَتْ                  | مِنْهُمْ وَاسْتَلَبَ الزَّمَانُ رِمَادَهَا                 |
| وَتَنَكَّرَتْ كُلُّ الشَّنَكْرِ بَعْدَنَا                 | وَالْأَرْضُ تُعْرِفُ بَعْلَهَا <sup>(٣)</sup> وَجَمَادَهَا |
| وَلَرُبَّ وَاضِحَةٍ الْجَبِينِ خَرِيدَةٍ                  | بَيْضَاءُ قَدْ ضَرَبَتْ بِهِ أَوْتَادَهَا <sup>(٤)</sup>   |

(١) اعتادها : أعاد النظر إليها مرة بعد أخرى لدروسها حتى عرفها ، والرواية فى الأغاني واللسان : شمل بدل درس . والأبلاد : جمع بلد وهو الأثر .

(٢) رواية الأغاني : رواكده ، بدل : رواسى ، و : جمراء أشعل ، بدل : جراً وأشعل .

(٣) البعل : الأرض المرتفعة التى لا يصبها مطر إلا مرة واحدة فى السنة ، والجناد : اليابسة

التي لم يصبها مطر ولا شئ فيها .

(٤) رواية الأغاني :

ولرب واضحة العوارض طغلة كالريم قد ضربت به أوتادها

تَصْطَادُ بِهَجَّتِهَا الْمُعَلَّلُ بِالصَّبَا  
كَالظَّبْيَةِ الْبِكْرِ الْفَرِيدَةِ تَرْتَعَى  
خَصِبَتْ بِهَا عَقْدُ الْبَرَقِ حَنِينِهَا  
كَالزَيْنِ فِي وَجْهِ الْعُرُوسِ تَبَدَّدَتْ  
تُرْجِي أَغْنَى كَأَنَّ إِثْرَهُ رَوْقِي  
رَكِبَتْ بِهِ مِنْ عَالِجٍ مُتَحِيرًا  
فَقَرَى عَمَائِيهِ الَّتِي تَسِقُ الثَّرَى  
بَانَتْ سَعَادُ وَأَخْلَفَتْ مِيعَادَهَا  
إِنِّي إِذَا مَا لَمْ تَصْلُنِي خُلَّتِي  
إِنَّمَا تَرَى شَيْبِي تَقَشَّعَ لَمَّتِي  
فَلَقَدْ ثَنَيْتُ يَدَ الْفَتَاةِ وَسَادَةَ  
وَأَصْحَابِ الْجَيْشِ الْعَرْمَرَمِ فَارِسًا  
وَقَصِيدَةٍ قَدْ بَتُّ أَتْجَعُ بَيْنَهَا  
نَظَرَ الْمُشَقِّفِ فِي كُؤُوبِ قَنَاتِهِ  
فَسَتَرْتُ عَيْبَ مَعِيشَتِي بِتَكْرُمِ  
وَعِلْمْتُ حَتَّى مَا أَسْأَلُ وَاحِدًا

عَرَضًا فَتَقَعِدُهُ وَلَنْ يَعْطَا دَهَا (١)  
مِنْ أَرْضِهَا قُمَّاتِهَا وَعِهَا دَهَا  
عَنْ عَكْرَهَا عَلَاجَانَهَا وَعَرَادَهَا  
بَعْدَ الْحَيَاءِ فَلَا عِبْتَ أَرْضِهَا (٢)  
قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا (٣)  
قَفْرًا تُرِيثُ وَخَشُهُ أَوْلَادَهَا  
وَالْهَبْرُ يُونِقُ نَبْتَهَا رُودَادَهَا (٤)  
وَتَبَاعَدَتْ عَنَّا لَتَمْنَعُ زَادَهَا  
وَتَبَاعَدَتْ عَنِّي اغْتَفَرْتُ بَعَادَهَا (٥)  
حَتَّى عَلَا وَضَحُ يَلُوحُ سَوَادَهَا (٦)  
لِي جَاعِلًا يُسْرَى يَدَى وَسَادَهَا  
فِي الْخَيْلِ أَشْهَدُ كَرَّهَا وَطِرَادَهَا  
حَتَّى أَقْوَمَ مَمِيلَهَا وَسِنَادَهَا  
حَتَّى يُقِيمَ ثِقَافَهُ مُنَادَهَا  
وَأَنَيْتُ فِي سَعَةِ النِّعَمِ سَدَادَهَا  
عَنْ عِلْمٍ وَاحِدَةٍ لَكِي أَرْدَادَهَا

- (١) المُعَلَّلُ بالصَّبَا : المشغول به المتلهي ، وأَقْعِدُهُ : رماه بسهم فقتله .  
(٢) الْأَرْضَادُ : جمع رُئْد بالكسر ، وهو الثوب ، وأكثر ما يكون في الإناث .  
(٣) الرُّوقُ : القرن .  
(٤) تَسَقُّ تَجْمَعُ ، والمراد تكرم نباتها . وَالْهَبْرُ : الطمئن من الأرض ، وقد ضبط في لسانِ  
مرب : نبتها بالنصب وروادها بالرفع ، والصواب العكس .  
(٥) الْحَلَّةُ بِالضَّمِّ : الخليل ، يستوى فيه الذكر والمؤنث ؛ لانه في الأصل مصدر .  
(٦) لَاحَهُ : غَيَّرَهُ .



صلى الإله على امرئ ودعته  
 وإذا الربيع تنابعت أنواؤه  
 نزل الوليد بها فكان لأهلها  
 أو لا ترى أن البرية كلها  
 ولقد أراك الله إذ ولاكها  
 وعمرت أرض المسلمين فأقبلت  
 وأصبّت في بلد العدو مصيبة  
 ظفراً ونصراً ما تناول مثله  
 وإذا نشرته له الشئاء وجدته  
 غلب المساميح الوليد سماحة  
 تأتية أسلاب الأعزّة عنوة  
 وإذا رأى نار العدو تضرّمت  
 بعزم رم تيدو الروابي ذى وعى  
 أطفأت ناراً للحروب وأوقدت  
 فبدت بصيرتها لمن يبغي الهدى  
 وإذا غدا يوماً بنفحة نائل

وأتمّ نعمته عليه وزادها  
 فسقى خناصرة الأحصّ فجادها<sup>(١)</sup>  
 غيثاً أغاث أنيسها وبلادها  
 ألقت خزائنها إليه فقادها  
 من أمة إصلاحها ورشادها<sup>(٢)</sup>  
 ونفّيت عنها من يريد فسادها<sup>(٣)</sup>  
 بلغت أقاصى غورها ونجادها  
 أحد من الخلفاء كان أرادها  
 جمع المكارم طرفها وتلاذها<sup>(٤)</sup>  
 وكفى قرّيش المضلات وسادها  
 قسراً ويجمع للحروب عتادها<sup>(٥)</sup>  
 سامى جماعة أهلها فأقتادها  
 كالحرّة احتمل الضحى أطوادها<sup>(٦)</sup>  
 نار قدحت براحتيك زنادها  
 وأصاب حرّ شديدها حسادها  
 عرضت له الغد مثلاً فأعادها

(١) خناصرة : بليدة من أعمال حلب ، وهى قصبة كورة الأحص .

(٢) رواية العقد الفريد والأغانى : ولقد أراد الله .

(٣) رواية الأغانى : وكففت ، بدل : ونفّيت .

(٤) الطرف والطريف والطارف : المال المستفاد . والتلاذ : القديم الأصلى .

(٥) العتاد بالفتح : العدة والأهبة ، ورواية العقد الفريد :

لم تأت الأسلاب إلا عنوة غصباً ويجمع للحروب عتادها

(٦) الوعى بالمهملة : الجلبة ، والحرّة بالفتح : الأرض الصلبة الغليظة ، والمعنى : أن الآل

الذى يكون فى الضحى رفع جبالها ، فإن رآها الناظر رأى أنها قد طالت وعظمت .

وإذا عَدَّتْ خَيْلٌ مُّبَادِرُ غَايَةٍ فالسابق الجالى يقودُ جِيَادَهَا<sup>(١)</sup>  
تمت القصيدة . و يروى أن عَدِيًّا أنشدها الوليدَ وعنده كثيرٌ ، وكان قد بلغه  
عن عدى أنه يطمئن على شعره ، ويقول : هذا شعر حجازى مقرر ، إذا أصابه قرءُ  
الشام جمد وهلك . فلما أتى عدى على قوله :

وقصيدة قد بتُّ أجمعُ بينها حتى أقومَ مياهاً وسِنَادَهَا  
قال له كثير : لو كنت مطبوعاً أو فصيحاً أو عالماً ، لم تأت فيها بميل ولا سناد ،  
فمحتاج إلى أن تقومها . ثم أنشد :

نَظَرَ الْمُثَقَّفِ فِي كُؤُوبِ قَنَاتِهِ حَتَّى يُقِيمَ ثِقَافَهُ مُنَادَهَا  
فقال كثير : لا جرم أن الأيام إذا تطاولت عليها عادت عوجاء ، ولأن  
تكون مستقيمة لا تحتاج إلى ثقاف أجود لها . ثم أنشد :

وَعَلِمْتُ حَتَّى مَا أَسْأَلُ وَاحِدًا عَنْ عِلْمِ وَاحِدَةٍ لَكِي أَرْدَادَهَا  
فقال كثير : كذبت ورب البيت الحرام ، فليمتحنك أمير المؤمنين بأن  
يسألك عن صفار الأمور دون كبارها حتى يتبين جهلك ، وما كنت قط أحق  
منك الآن حيث تظن هذا بنفسك . فضحك الوليد ومن حضر ، وقطع عدى  
ابن الرِّقَاع حتى ما نطق .

وروى عن محمد بن المنجّم أنه قال : ما ذكر لى أحد فأحببت أن أراه ،  
فإذا رأيته أمرت بصفعه ؛ إلا عدى بن الرِّقَاع ، لقوله :

وعلمت حتى ما أسائل ... البيت . فكنت أعرض عليه أصناف العلوم  
فكلما مر به شيء ، ولا يحسنه ، أمرت بصفعه .

(١) في الأصل : وإذا عدت خيلاً يبادر غاية .

## فصل فى مؤلفاته

قال أبو العلاء : لزمّت مسكنى منذ سنة أربعائة ، واجتهدت على أن أتوفر على تسبيح الله وتحميده ، إلى أن أضطر إلى غير ذلك ، فأملت أشياء ، وتولى نسخها الشيخ أبو الحسن على بن عبد الله بن أبي هاشم ، أحسن الله معونته ، فالزمنى بذلك حقوقاً جمة وأيادى بيضاء ، لأنه أفنى في زمنه ، ولم يأخذ عما صنع ثمنه ، والله يحسن له الجزاء ، ويكفيه حوادث الزمن والأرزاء . انتهى .

وقد رتبنا أسماء هذه الكتب على حروف المعجم ، تسهيلاً على المطالع ! واعتمدنا فيما ذكرناه منها على ما فى « إرشاد الأريب » لياقوت ، و « كشف الظنون » لمصطفى بن عبد الله الشهير بكتّاب حلبى ، وغيرهما من كتّاب التراجم والأخبار . وتكاملنا على ما وقفنا عليه منها بما يتسع له هذا المختصر :

(١) أدب العصفورين : رسالة ذكرها ياقوت ، وصاحب كشف الظنون .

(٢) استغفر واستغفرى : كتاب فى المنظوم ، به نحو عشرة آلاف بيت ،

ويقع فى مائة وعشرين كراسة ، ذكره ياقوت ، وأهمله صاحب الكشف .

(٣) إسعاف الصديق : فى ثلاثة أجزاء ، يتعلق بكتّاب الجمل فى النحو

للزجاجى المتوفى سنة ٣٣٩ . ذكره ياقوت ، وصاحب الكشف .

ر . (٤) إقليد الغايات : كتاب لطيف ، قصره على تفسير ما جاء من اللغز فى

كتابه : الفصول والغايات ، ذكره ياقوت ، وصاحب الكشف .

(٥) الأمالى : لم يذكره ياقوت ، وقال صاحب الكشف : هو مائة كراسة

ولم يكمله .

(٦) الأيك والفصون : ذكره ياقوت وصاحب الكشف في حرف الكاف في الكتب ، ويسمى أيضاً بالهمزة والردف ؛ لأنه بناء على إحدى عشرة حالة للهمزة في حال إفرادها وإضافتها . مثاله : سماء بالرفع والنصب والخفض ، سماء بالتثنية ، سماء سماء سماء بالحرركات الثلاث مع الإضافة للضمير المذكور ، سماءها سماءها سماءها مع الإضافة للمؤنث ، ثم همزة بعدها هاء ساكنة مثل : عبادة وملاة . فإذا ضربت الإحدى عشرة في حروف المعجم الثمانية والعشرين ، خرج من ذلك ثلاثمائة فصل وثمانية ، وهي مستوفاة في هذا الكتاب . وذكر فيه أيضاً الأرداف الأربعة بعد ذكر الآف . ومبناه على العظات وذم الدنيا . ومقداره ألف ومائتا كراسة ، تقع في اثنين وتسعين جزءاً كما ذكر ياقوت . وقال ابن خلكان : بلغني أن له كتاباً سماه الأيك والفصون وهو المعروف بالهمزة والردف ، يقارب المائة جزء ، في الأدب ؛ وحكى لي من وقف على المجلد الأول بعد المائة ، فقال : لا أعلم ما كان يعوزه بعد هذا المجلد .

(٧) بحر الزجر : يتعلق بكتاب « زجر النابح » ، ذكره ياقوت ، ولم يذكر في كشف الظنون .

(٨) تاج الحرة في عظات النساء خاصة ، وتختلف فصوله ، فمنها ما يجيء بعد حرفه الذي يثبت ثبات الرواية التأنيث ، كقوله : شأني وتشأني وتسأني ونحوها . ومنه ما هو مبني على الكاف نحو غلامك وكلامك . ومنها ما يجيء على تفعلين ، مثل ترغيبين وتذهبين ، وأنواع هذا الكتاب كثيرة ، ويقع في أربعمائة كراسة ، كما في ياقوت وكشف الظنون .

(٩) تضمين الآي : لم يذكره صاحب كشف الظنون ، وقال ياقوت : هو كتاب مختلف الفصول ؛ فمنه طائفة على حروف المعجم ، وقبل الحرف المعتمد

ألف ، مثل أن يقال في الهمزة : بناء ونساء ، وفي الباء : ثياب وعباب . ثم على هذا إلى آخر الحروف . ومنه فصول على فاعلين وعلى فاعلون وغير ذلك . والغرض أن يأتي بعد انقضاء الكلام بآية من الكتاب العزيز أو بعض آية ، وربما يجيء بآيتين . قال : والسبب في تأليفه أن بعض الأصراء سأله أن يؤلف كتاباً برسمه ، ولم يؤثر أن يؤلف شيئاً في غير العظات ، والحث على تقوى الله ، فأملى هذا الكتاب ، ويقع في أربعائة كراسة .

(١٠) تعليق الجليس : مما يتصل بكتاب الجمل لازجاجي ، في جزء واحد . ذكره ياقوت ، ولم يذكر في الكشف .

(١١) تفسير خطبة الفصيح : فسر فيه غريب كتابه خطبة الفصيح . ذكره ياقوت ، وصاحب الكشف .

(١٢) تفسير الهمزة والردف : في جزء ، ذكره ياقوت ولم يذكر في الكشف .  
(١٣) جامع الأوزان : فيه شعر منظوم على معنى يم به الأوزان الخمسة عشر التي ذكرها الخليل ، بجميع ضروبها ، ويذكر قوافي كل ضرب ، به تسعة آلاف بيت ، ومقداره ستون كراسة في ثلاثة أجزاء . ذكره ياقوت ، وصاحب الكشف .

(١٤) الجلى والحلبى : هكذا ورد في نسخة ياقوت ، وكتب مصححه : لعله « الحللى الحلبي » ، سأله فيه صديق له من أهل حلب ، يعرف بابن الحللى ، مجلد واحد ، وعشرون كراسة . ولم يذكر في كشف الظنون .

(١٥) الحقير النافع : مختصر في النحو . خمس كراسات ، كما في ياقوت والكشف ، وذكره السيوطي في بغية الوعاة .

(١٦) خدام الرسائل : في تفسير ما تضمنته رسائله من الغريب ، سواء كانت

من الرسائل الطوال ، كالغفران والملائكة ونحوهما ؛ أو ما دونها . ولم يذكر فيه إلا ما يحتاج إليه المبتدئون في الأدب ، وسماه صاحب كشف الظنون : خادمة الرسائل .

(١٧) خطبة الفصيح : تكلم فيه عن أبواب الفصيح في خمس عشرة كراسة ، كما في ياقوت والكشف ، وله تفسير غريبه ، وقد مضى ذكره .  
(١٨) خطب الخيل : تكلم فيه على ألسنتها في عشر كراسات ، كما في ياقوت والكشف .

(١٩) خماسية الراح : قال ياقوت : هو كتاب لطيف في ذم الخمر ومعنى هذا الوسم أنه بنى على حروف المعجم ، فذكر لكل حرف تمكن حركته خمس سجمات مضمومات ، وخمساً مفتوحات ، وخمساً مكسورات ، وخمساً موقوفات . يكون مقداره عشر كراسات . وتصحف اسمه على صاحب كشف الظنون بحماسة الراح ، فذكره في حرف الحاء .

(٢٠) دعاء الأيام السبعة : ذكره ياقوت .

(٢١) دعاء ساعة : ذكره أيضاً .

(٢٢) دعاء وحرز الخيل : ذكره أيضاً .

(٢٣) ديوان الرسائل : وهي ثلاثة أقسام كالغفران والسندية ونحوهما ، وسندكر منها ما وقفنا على اسمه . ومنها مادون تلك ، كالرسالة الإغريقية ، ورسالة المنيع . ومنها قصار كنحو ما تجرى به العادة في المكاتبة . قال ياقوت وصاحب كشف الظنون : إنها تقع جميعها في ثمانمائة كراسة . وقد طبع قسم من هذه الرسائل في بيروت وأكسفورد ، وعندى منها نسختان مخطوطتان في أحدهما مكاتبات جرت بينه وبين أبي عمران داعي الدعاة بمصر ، وهي التي لخصها

ياقوت في إرشاد الأريب ، وقد مضى أنه شرح رسائله في كتابه : خادِمُ الرِسا ئِل .  
(٢٤) ذكرى حبيب : ذكره صاحب الكشف ، وقال ياقوت : إنه مختصر  
في غريب شعر أبي تمام ، سأل فيه صديق له من الكتاب . مقداره ستون كراسة  
في أربعة أجزاء . وقال ابن خلكان : إنه اختصر ديوان أبي تمام وشرحه وسماه :  
ذكرى حبيب . وفي مقدمة شرح ديوان أبي تمام للتبريزي أن أبا العلاء إنما  
ذكر في هذا الكتاب الأبيات المشككة من شعر أبي تمام متفرقة . ومن فوائده  
التي نقلها عنه أن شعر أبي تمام إنما أغلق ، لأنه لم يؤثر عنه ، فتناقلته الضعفة من  
الزواة ، والجهلة من الناسخين ، فبدلوا الحركة بالحركة ، وأوقعوا الناظر بما جَنَّوْهُ  
في أم أدراص<sup>(١)</sup> وتغلّس ، وغيروا الأحرف بسوء التصحيف ، فغادروا الفهم  
خابطاً في عشواء ؛ لأن تغيير الضمة إلى الفتحة والكسرة ، يُنْشِبُ الفطن في  
حباله ؛ فأما نقل الحاء إلى الخاء ، والدال إلى الذال ، فيحدث عنه إلباس ،  
ويقرن به بلادة وإشكاس .

(٢٥) الراحلة : ثلاثة أجزاء في تفسير لزوم ما لا يلزم . ذكره ياقوت فقط .

(٢٦) راحة اللزوم : يشرح فيه ما في لزوم ما لا يلزم من الغريب ، نحو مائة  
كراسة ، كما في ياقوت والكشف .

(٢٧) الرسالة الحضيّة : كذا ذكرها ياقوت .

(٢٨) الرسالة الزعفرانية : ذكرها صاحب الكشف ولم يذكرها ياقوت .

(٢٩) الرسالة السنديّة : ذكرت في ياقوت والكشف .

---

(١) أم أدراص : الداهية . ويقال : وقع في وادي تغلس غير مصروف كتعيب  
وتهلك ، في داهية منكرة ، والأصل فيه أن الغارات كانت تقع بكرة بغلس .

(٣٠) رسالة العروض : هكذا في كشف الظنون ، وفي نسخة ياقوت : الفرض  
بالفاء ، وعلله القرضُ أو القريض بالقاف .  
(٣١) رسالة على لسان ملك الموت : ذكرها ياقوت ، ولا أدري إن كانت  
رسالة الملائكة أو غيرها .

(٣٢) رسالة الغفران : كتبها لعلی بن منصور الحلبي المعروف بابن القارح ،  
جواباً على رسالة أرسلها له يذكر بها شوقه إلى لقائه ، وينحى فيها على الزنادقة ،  
ويتنقص الوزير المغربي صديق أبي العلاء . فأجابه برسالة الغفران ، وضمنها فنونا  
شتى من اللغة والأدب ، ونحا فيها منحواً غريباً ، فاستطرد إلى الجنة ، فوصفها بوصفا  
يشوق النفوس إليها ، ويرغبها في نعيمها ، وذكر النار وأهوالها بطريقة لا تسأمها  
النفوس . وقد طبعت هذه الرسالة بمصر سنة ١٣٢٥ ، وعندى منها نسختان  
مخطوطتان ، وبتدار الكتب الخديوية بالقاهرة نسخة من كتب الأستاذ  
الشنقيطي — رحمه الله — وفي القُسْطَنْطِينِيَّة العظمى نسخة أخرى في خزانة  
الكبريلى . وكنت في شوق لرسالة ابن القارح المذكورة ، حتى ظفرت بها في مجموع  
نفيس وقع لى .

(٣٣) رسالة الملائكة : اقتصر ياقوت وصاحب الكشف على ذكر اسمها ،  
وقال أبو الفضل المؤيد بن الموفق الصاحبى في كتاب « الحكم البوالغ » في شرح  
الكلم النوابع : « رسالة الملائكة ، ألفها أبو العلاء المعرى على جواب مسائل تصريفية  
ألقاها إليه بعض الطلبة ، فأجاب عنها بهذا الطريق الظريف المشتمل على الفوائد  
الأنيقة . انتهى . قلت : وأسلوبه فيها غريب ، افتتحها معذراً لاسائل بكبر سنه ،  
وبعد عهده بالمسائل النحوية والصرفية ، وقربه من الموت . ثم بدأ في الجواب  
فقال : « أَقْتَرَانِي أَدَافِعَ مَلَكِ الْمَوْتِ ، فَأَقُول : أَصِلْ مَلَكَ مَالِك .. الخ » فساق هذا



البحث في مناقشته مع الملك ، وأتى بشواهد من كلام العرب ، إلى أن انتقل إلى بحث آخر ، فقال : « فيقول الملك : من ابن أبي ربيعة وأبو عبيدة ، وما هذه الأباطيل ؟ إن كان لك عمل صالح فأنت سعيد ، وإلا فافخسأ وراءك ، فأقول : فأهلنى حتى أخبرك بوزن عنرائيل ، وأقيم الدليل على أن الهمزة فيه زائدة . . . الخ » ثم انتقل إلى ناكر ونكير ، فباحثهما عن اسميهما ، وهكذا حتى أتم الإجابة عن الأسئلة في هذا السياق العجيب . وعندى من هذه الرسالة نسخة مخطوطة ضمن مجموع ، وبتدار الكتب الأزهرية بالقاهرة أخرى ، وقد أوردتها السيوطى بتمامها فى كتابه الأشباه والنظائر النحوية .

(٣٤) رسائل المعونة : وهى التى كتبها على لسان غيره ، ذكرها ياقوت وصاحب الكشف .

(٣٥) رسل الراموز : نحو ثلاثين كراسة . ذكره ياقوت .

(٣٦) الرياش المصطنعى : فى شرح مواضع من الحماسة الرياشية ، ألفه الأمير مصطنع الدولة أبى غالب كليب بن على ، وكان أنفذ إليه نسخة من هذه الحماسة ، وسأله أن يخرج على حواشيهام شيئاً مما لم يذكره أبوريش ، فخشى أن تضيق الحواشى عن ذلك ، فصنع هذا الكتاب فى أربعين كراسة . ذكر فى ياقوت والكشف .

(٣٧) زجر النابح : يتعلق بلزوم مالا يلزم ، وذلك أن بعض الجهال تكلم على أبيات من لزوم مالا يلزم ، يريد بها التشرر والأذية ، فالزم أبا العلاء أصدقائه بإنشائه ، فأنشأه وهو كاره . مقداره أربعون كراسة فى جزء واحد . ذكره ياقوت وصاحب الكشف . وله كتاب يتعلق بهذا ورد اسمه فى نسخة ياقوت « بحر الزجر » وقد مضى ذكره .

(٣٨) السادن : أنشأه في تفسير غريب كتابه الفصول والغايات ، وما فيه من اللغز . مقداره عشرون كراسة . ذكره ياقوت وصاحب الكشف .

(٣٩) السجعات العشر : موضوع على كل حرف من حروف المعجم عشر سجعات في المواعظ . ذكره ياقوت وصاحب الكشف .

(٤٠) سبع الحائم : تكلم فيه على لسان حائم أربع ، وكان بعض الرؤساء سألته أن يصنف له تصنيفاً يذكر فيه ، فأنشأ هذا الكتاب ، وجعل ما يقوله على لسان الحمامة في العظة والحث على الزهد . مقداره ثلاثون كراسة ، في أربعة أجزاء . ذكر في ياقوت والكشف .

(٤١) السجع السلطاني : يشتمل على مخاطبات الملوك والوزراء وغيرهم من الولاة ، سألته فيه بعض من خدم السلطان ، وارتفعت طبقة ، ولم يكن له قدم في الكتابة ، فطلب أن يُنشأ له كتاب مسجوع من أوله إلى آخره ، ولا يشعر بما يريد ، لقلّة خبرته بالأدب . فألف له هذا الكتاب . قال ياقوت : في أربعة أجزاء ؛ وقال صاحب الكشف : إنه ثمانون كراسة .

(٤٢) سبع الفقيه : جزء في ثلاثين كراسة . ذكره ياقوت وصاحب الكشف .

(٤٣) سبع المضطرين : كتاب لطيف ، عمله لرجل تاجر مسافر ، يستعين به على أمور دنياه . ذكره ياقوت وصاحب الكشف .

(٤٤) سقط الزند : وهو ديوان يشتمل على أكثر من ثلاثة آلاف بيت ، ضمنه شعره في صباه . وسمّاه بذلك لأن السقط أول نار تخرج من الزند ، فشبه شعره الأول به . قال التبريزي : لما حضرت أبا العلاء ، قرأت عليه كثيراً من كتب اللغة ، وشيئاً من تصانيفه ، فرأيتّه يكره أن يُقرأ عليه شعره في صباه ،

الملقب بسقط الزند ، وكان يغير الكلمة بعد الكلمة منه إذا قرئت عليه ، ويقول معتذراً عن تأنيئه ، وامتناعه من سماع هذا الديوان : مدحت نفسى فيه ، فلا أشتى أن أسمعه . وكان يحثنى على الاشتغال بغيره من كتبه . انتهى . ولهذا الديوان شروح ، أولها شرح لأبى العلاء نفسه سماه (ضوء السقط) وهو غير واف ، نقله عنه التبريزى ، وأوضح مشكلاته ، وذكر اللغة الغريبة ، واقتصر فى تفسير المعانى على ما لا بد منه . ثم تناوله أبو يعقوب يوسف بن ظاهر النحوى ، فأصلحه وزاد فيه ، وسماه : « القنوير » وطبع بمصر غفلاً من اسم مؤلفه . ومن شروح هذا الديوان شرح الفخر الرازى ، و « ضرام السقط » لمجد الدين أبى الفضل قاسم بن حسين بن محمد الخوارزمى المشهور بصدر الأفاضل النحوى ، وقفت على نسخة منه فى خزانة آل رفاعة بالقاهرة . و « الزوائد » لأبى رشاد الإخسيكتى ، و « العمدة » لابن البارزى ، وشرح ابن السّيد البطليوسى وهو عزيز الوجود ، وقعت لى منه أوراق من نسخة قديمة ، فإذا به شرح على ديوان ممزوج من سقط الزند واللزوميات . وقد انتقد أبو بكر بن العربى على مواضع منه ، فردّ عليه ابن السّيد فى رسالة لطيفة ، وقفت عليها وهى عندى . وللمشيخ تاج الدين بن عبد الرحمن شرح على قصيدة لامية من هذا الديوان مطلعها :

\* ألا فى سبيل المجد ما أنا فاعل \*

سماه : « مراقى العلاء ، فى شرح لامية أبى العلاء » وهو عندى فى مجموع .

(٤٥) سيف الخطيب : هكذا فى الكشف ، وفى ياقوت « سيف الخطبة » . وهو جزآن ، يشتمل على خطب السنة ، فيه خطب للجمع والعيدى والخسوف والكسوف والاستسقاء وعقد النكاح ، وهى مؤلفة على حروف من حروف المعجم ، فيها خطب عمادها الهمزة ، وخطب بنيت على الباء ، وخطب على الدال ،

وعلى الراء ، وعلى اللام ، وعلى الميم ، وعلى النون ، وترك الجيم والخاء وما  
يجرى مجراها ؛ لأن الكلام المقول في الجماعات ينبغي أن يكون سَجَسَجًا<sup>(١)</sup> سهلاً .  
مقداره أربعون كراسة . وكان سأل فيه رجل من المتظاهرين بالديانة .

(٤٦) شرح الرسالة الإغريقية : لم يذكره ياقوت ، وذكره صاحب  
الكشف . مقداره عشرون كراسة . وللشيخ إبراهيم الفصيح بن صبغة الله  
الحيدري ، من علماء أواخر القرن الثالث عشر ، شرح على الرسالة الإغريقية ،  
سماه النواذر الحكيمة والأدبية ، أنه برسم مصطفى باشا بن إبراهيم بن محمد علي  
والى مصر ، وتوجد منه نسخة مخطوطة بدار الكتب الخديوية بالقاهرة .

(٤٧) شرح كتاب سيديويه : في النحو ، في خمسين كراسة ، ولم يمه .  
كما في ياقوت والكشف وبغية الوعاة .

(٤٨) شرف السيف . قال ياقوت : عمله لنشككين الدرزي الذي كان مقياً  
بدمشق ، والسبب فيه أنه كان يوجه إلى أبي العلاء بالسلام ، ويحفي المسألة  
عنه ، فأراد جزاءه على ما فعل . وهو في جزئين . وفي كشف الظنون : « شرف  
السلف عشرون كراسة عمله لأمير الجيوش » .

(٤٩) الصاهل والشاحج : يتكلم فيه على لسان فرس وبغل ، مقداره  
أربعون كراسة ، صنفه لأبي شجاع فائق الملقب بمزين الدولة والى حلب من قبل  
المصريين ، وكان رومياً . ذكره ياقوت ، وصاحب الكشف في الرسائل . وفي  
خطط المقرئ ج ٢ ص ١٥٤ رواية رواها أبو العلاء في الصاهل والشاحج ،  
للبيتين : زر وادي القصر . . . الخ .

والشاحج : البغل ؛ وشحيجه ، وشحاجه : صوته ؛

(١) السجسج : الذي بين الصلابة واللين . والهاء السجسج : ليس بحار ولا بارد .

(٥٠) ضوء السقط : فسر فيه غريب ديوانه سقط الزند ، مقداره عشرون كراسة . ذكره ياقوت وصاحب الكشف وابن خلكان . وقد فصل بعضهم الدرعيّات من سقط الزند ، وطبعها على حدة في بيروت ، وسماها : ضوء السقط ، وهو خطأ ينبغي أن يُتنبّه له .

(٥١) الطلّ الطاهري : أنشأه لرجل يعرف بأبي طاهر . ذكره ياقوت ، ولم يذكر في الكشف .

(٥٢) ظهير العضدي : يتصل بالكتاب المعروف بالعضدي في النحو . ذكره ياقوت وصاحب الكشف والسيوطي .

(٥٣) عبث الوليد : يؤخذ من عبارة ابن خلكان أنه اختصر فيه شعر البحتری وشرحه ، واسم الكتاب لا يدل على ما قال . وقال غيره : إنه يتضمن أغاليط البحتری . وقال ياقوت : إنه يتصل بشعر البحتری ، وكان سبب إنشائه أن بعض الرؤساء أنفذ نسخة ليُقابَل بها ، فأثبت ما جرى من الغلط ليعرض ذلك عليه . وهو جزء واحد في عشرين كراسة . أقول : قد وقعت لي نسخة من هذا الكتاب ، فوجدتها كما قال ياقوت ، والخطأ الذي يذكره أبو العلاء تارة يكون من النسخة المرسلة إليه ، وتارة من الناظم نفسه ؛ ولهذا سماه بعبث الوليد تورية باسمه ، لأن البحتری اسمه الوليد . والوليد أيضاً : الصبي ، فكأنه قال : لعب الصبي وخطئه . ورتب فيه الأبيات التي تعرض لها على حروف المعجم باعتبار قوافيها ، وله فيه فوائد وآراء ؛ كقوله في بيت البحتری في وصف فرس :

أخواله للرُشتمين<sup>(١)</sup> بفارس وجدوده للثبّعين<sup>(٢)</sup> بموكل<sup>(٣)</sup>

(١) رستم : بضم الراء وسكون السين وفتح المثناة الفوقية ، وقد تضم .

(٢) موكل موضع ، ولا نظير له إلا مورق اسم ملك للروم وموزن وموهب وموظب =

قال : يروى الرُّسْتَمِيُّ عَلَى الْجَمْعِ وَكَذَلِكَ التَّبَعِيُّ ، وَيُروى بالتثنية ، والجمع أشبه ؛ لأنه قال أخواله فَجَمَعَ ، وكذلك قال جَدُودُه . فَأَنَّ تَكُونَ الْأَخْوَالَ وَالْجُدُودَ لِلْمُلُوكِ كَثِيرَةٌ أَشْبَهَ مِنْ أَنْ تَكُونَ لِلْمَلَائِكَةِ . انْتَهَى كَلَامُهُ . قلت : وقد يقال أيضاً في ترجيح ما رجَّعَهُ أَنْ لَا وَجْهَ لِتَخْصِصِ اثْنَيْنِ مِنْ تَبَاعُثِ الْيَمَنِ بِالذِّكْرِ ؛ لأنه لم يسمع عن اثنين مَخْصُوصَيْنِ مِنْهُمِ امْتِازًا بِشَهْرَةٍ تَصْرِفُ إِلَيْهِمَا الْأُذْهَانَ ، إِذَا ذُكِرَ التَّبَعَانِ ، وَمَا يُقَالُ فِيهِمَا يُقَالُ فِي الرُّسْتَمِيِّ ، فَرَوَايَةُ الْجَمْعِ أَرْجَحُ وَأَقْرَبُ إِلَى الصَّوَابِ .

(٥٤) عِظَاتُ السُّورِ : ذَكَرَهُ يَاقُوتٌ ، وَلَمْ يَتَكَلَّمْ عَلَيْهِ .

(٥٥) الْعِظَةُ وَالزَّهْدُ : لَمْ يَذْكُرْهُ يَاقُوتٌ ، وَذَكَرَهُ صَاحِبُ الْكَشْفِ فِي حَرْفِ الْكَافِ فِي الْكُتُبِ ، وَقَالَ : مِائَةٌ وَعِشْرُونَ كِرَاسَةً .

(٥٦) عَوْنُ الْجُمَلِ : قَالَ يَاقُوتٌ : يَتَّصِلُ بِكِتَابِ الزَّجَّاجِيِّ ، عَمَلُهُ لِأَبِي الْفَتْحِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي هَاشِمٍ ، وَهُوَ آخِرُ شَيْءٍ أَمْلَأَهُ ، وَفِي كَشْفِ الظُّنُونِ أَنَّهُ شَرَحَ لَشَوَاهِدِ جُمَلِ الزَّجَّاجِيِّ لَمْ يَتِمَّ ، وَكَذَلِكَ فِي بَغِيَةِ الْوَعَاةِ لِلْسَّيُوطِيِّ .

(٥٧) الْفُصُولُ : لَمْ يَذْكُرْهُ يَاقُوتٌ ، وَذَكَرَهُ صَاحِبُ الْكَشْفِ فَقَالَ : إِنَّهُ غَيْرُ الْفُصُولِ وَالْغَايَاتِ ، وَهُوَ أَرْبَعُمِائَةٍ كِرَاسَةً .

(٥٨) الْفُصُولُ وَالْغَايَاتُ : هُوَ الْكِتَابُ الَّذِي زَعَمَ شَائِئُوهُ أَنَّهُ عَارِضٌ بِهِ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ ، وَسَمَّاهُ الْفُصُولَ وَالْغَايَاتِ فِي مُعَارَضَةِ السُّورِ وَالْآيَاتِ ، وَسَنَشْبِعُ الْقَوْلَ فِي هَذَا الزَّعْمِ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى مَعْتَقَدِهِ . وَلَيْسَ فِي هَذَا الْكِتَابِ إِلَّا عِظَاتٌ وَنِصَائِحٌ ، وَالْمُرَادُ بِالْغَايَاتِ الْقَوَافِي ؛ لِأَنَّ الْقَافِيَةَ غَايَةُ الْبَيْتِ أَيْ مُنْتَهَاهُ ، وَهُوَ

---

— وموحد ، والقياس فيما كانت فاؤه حرف علة أن يكون الفعل منه مكسور العين ، مثل موحد ومورد ، ولكن جاءت هذه شاذة .

موضوع على حروف المعجم ما خلا الألف ؛ لأن فواصله مبنية على أن يكون ما قبل الحرف المعتمد فيها ألف ، ومن المحال أن يجمع بين ألفين . ولكن تجيء الهمزة وقبلها ألف ، مثل العطاء والكساء ، وكذلك الشراب والسراب في الباء ، ثم على هذا الترتيب ، وليست حروفه المبنى عليها مستوية الإعراب ، بل تجيء مختلفة ، وفيها ما يجيء على نسق واحد . وقيل : إنه بدأ فيه قبل رحلته إلى بغداد وأتمه بعد عودته إلى المعرة ، ومقداره مائة كراسة . ذكره ياقوت وصاحب الكشف . ويتعلق بهذا الكتاب : إقليد الغايات ، والسادن ، وقد مر ذكرهما . (٥٩) فضائل أمير المؤمنين على بن أبي طالب ، كرم الله وجهه . ضمنه بعض فضائله . ذكره ياقوت فقط .

(٦٠) قاضى الحق : يتصل بكتاب الكافي فى النحو لأبى جعفر النحاس المتوفى سنة ٣٣٨ . ذكر فى ياقوت والكشف .

(٦١) القائف : ذكره صاحب الكشف فى حرف الكاف فى الكتب ، وسقط من نسخة ياقوت المطبوعة ، إلا أن فى كلامه على كتابه المسمى بمنار القائف دلالة على أن له كتاباً بهذا الاسم .

(٦٢) اللامع العزى ، فى شرح شعر المتنبي ، صنّفه للأمير عزيز الدولة ابن تاج الأمراء أبى الدوام ثابت بن ثمال ، مقداره مائة وعشرون كراسة . ذكره ياقوت وصاحب الكشف وابن خلكان وغيرهم ، ومنه نسخة بخزانة لاله لى بالقسطنطينية رقمها (١٨٢٥) .

(٦٣) لزوم ما لا يلزم : هو ديوان كبير مرتب على حروف المعجم ، يذكر كل حرف بوجوه الأربعة : الضمة والفتحة والكسرة والسكون . ومعنى لزوم ما لا يلزم أنه يلتزم قبل الروى حرفاً إذا غير لم يكن مخللاً بالنظم . قال فى خطبته :

إنه ذكر فيه ما هو تمجيد لله الذي شرف عن التمجيد ، أو تذكير للناسين ،  
وتنبيه للغافلين ، أو تحذير من الدنيا ؛ فإن جاوز المشترط ، فإن الذي جاوز إليه  
قول عمرى من المين . وهو أحد كتبه التي تكلموا فيها ، وسنفضل القول فيه  
عند الكلام على معتقده وشعره . طبع بالهند سنة ١٣٠٣ وبمصر سنة ١٨٩١  
— ١٨٩٥ ميلادية . وكان الأديب الفاضل الشيخ أحمد الفحماوى النابلسى ،  
نزىل مصر رحمه الله تعالى ، مشتهرا بكتابة نسخ من هذا الكتاب ،  
يتحرى فيها الصحة ، ويطرزها بالحواشى المفيدة ، ثم يبيع النسخة بعشرين  
ديناراً مصرياً ، فيتنافس فى اقتنائها أعيان مصر وسراتها ، وعندى منها  
نسختان . ووقعت لى نسخة مخطوطة من مختصره له ، اسمه : مختار لزوم ما لا يلزم ،  
تنقص أوراقا من أولها ، ويبتدىء بما فيها من أثناء قافية الباء المضمومة ، ولذهب  
أولها لم أقف على اسم مؤلفها . ولأبى العلاء شرح عليه سماه : راحة اللزوم ، وله  
أيضاً : زجر النابح ، وبحر الزجر ، والراحلة . وكلها تتعلق باللزوميات ،  
وقد مضى ذكرها .

(٦٤) مبهج الأسرار : لم يذكره ياقوت ، وقال صاحب كشف الظنون :  
لأبى العلاء ، ولم يقل المعرى ، واسم الكتاب يدل على أنه لغيره .

(٦٥) مثقال النظم : فى العروض . ذكره ياقوت والسيوطى فى بغية الوعاة .

(٦٦) مجد الأنصار ، فى القوافى . ذكره ياقوت .

(٦٧) المختصر الفتى : يتصل بكتاب محمد بن سعدان ، صنفه لرجل يكنى

أبا الفتح محمد بن على بن أبى هاشم ، وكان أبو هذا الرجل تولى إثبات ما ألفه  
أبو العلاء من جميع كتبه ، فالزمه بذلك حقوقاً جمة ، وأيادى كثيرة . كذا  
ذكر ياقوت .



(٦٨) معجز أحمد : لم يذكره صاحب الكشف ، ويذهب بعضهم إلى أنه هو اللامع العريزي في شرح شعر المتنبي . ويستفاد من عبارة ابن خلكان أنه غيره ، وأن أبا العلاء اختصر ديوان المتنبي ، وتكلم على غريبه ، وذكر سرقاته وما أخذ عليه في هذا الكتاب . ومن فوائده التي ذكرها فيه ، ونقلها عنه أصحاب البديع ، استنباطه لنوع من البديع سماه « الطاعة والعصيان » عند كلامه على قول المتنبي :

يردّ يدأ عن ثوبها وهو قادر ويعصى الهوى في طيفها وهو راقد  
فزعم أنه أراد أن يقول وهو مستيقظ ليطابق بينه وبين راقد ، ولما عصاه الوزن عدل عنه إلى قادر ، وفيه معنى مستيقظ وزيادة ، فأطاعه التجنيس المقلوب بين قادر وراقد ، وعصته المطابقة بين راقد ومستيقظ . ورد عليه زكي الدين بن أبي الإصبع بأنّ ليس في البيت شيء من ذلك ، لإمكان أن يقول وهو ساهر بدل قادر . انتهى . وجلّ من أتى بهذا النوع من أصحاب البديعيات ، لم تسلم أبياتهم من مثل هذا النقد .

(٦٩) ملقى السبيل : مختصر فيه نظم ونثر ، ذكره ياقوت وصاحب الكشف ، ووقعت لي نسخة منه ، فوجدته في المواضع مرتباً على حروف المعجم ، يذكر في كل حرف فقرات من النثر ، ثم يتبعها بأبيات من القافية ؛ كقوله في حرف الحاء :  
إن ابن آدم شحيح ، سوف يمرض من القوم صحيح ، يعصف بعقله الريح ؛ إن ذلك هو التبريح .

|                      |                     |
|----------------------|---------------------|
| يأيها المسك الشحيح   | سيمرض السالم الصحيح |
| ما لك لم تنتفع بعقل  | هل عصفت بالعقول ريح |
| إن شيد القصر في سرور | فبعده يحفر الضريح   |

ويطرح الظم بالمايا من جسمه في الهوى طريق  
(٧٠) منار القائف : في تفسير ما جاء من اللفز والغريب في كتابه القائف ،  
مداره عشر كراريس . ذكره ياقوت .

(٧١) المواعظ الست : ذكره ياقوت وصاحب الكشف ، ومعنى هذا  
اسم أن الفصل الأول منه في خطاب رجل ، والثاني في خطاب اثنين ، والثالث  
، خطاب جماعة ، والرابع في خطاب امرأة ، والخامس في خطاب امرأتين ،  
السادس في خطاب نسوة . في خمس عشرة كراسة .

(٧٢) نشر شواهد الجهرة : لم يذكر في الكشف ، وقال ياقوت : إنه في  
لأنة أجزاء ، ولم يتم .

(٧٣) نظم السور : ستة كراريس ، ذكره صاحب الكشف ، وجاء في  
سخة ياقوت : نظم السور ، بالمشاة الوقية ، ولعله تحريف .

(٧٤) وقعة الماعظ : هكذا في نسخة ياقوت ، وقال مصححه : لعله برقة  
لواعظ ، ولم يذكره صاحب كشف الظنون .

\*\*\*

وله سوى ذلك كتب في العروض والشعر بدأبها ولم تتم . ورأيت بعض  
العصريين ينسب إليه كتابا اسمه الفصوص ، ويزعّم أنه سقط منه في الدجلة ،  
وهو يحمله إلى أحد الأمراء ببغداد ، فقال فيه بعض الشعراء :

قد غاص في التهر كتاب الفصوص وهكذا كل ثقل يغوص  
فأجابه أبو العلاء بقوله :

عاد إلى معدنه إنما توجد في قعر البحار الفصوص  
والصواب أن هذا الكتاب لأبي العلاء من عند اللغوي البغدادي ، أحد

الراجلين إلى الأندلس ، وبها ألقه ، ووقعت له هذه القصة . وسببها أنه استأذن من المنصور بن أبي عامر في إملاء كتاب بجامع مدينة الزهراء ، يفوق أمانى أبي على القالى التى أملاها بقرطبة فى دولة عبد الرحمن وابنه الحكم ، واشترط أن لا يورد فيه خبراً أورده القالى . فأذن له فى ذلك ، فأملى كتاب الفصوص ، ولما أكمله تتبعه أدباء الوقت ، فلم تمر فيه كلمة صحيحة عندهم ، ولا خبر ثبت لديهم . وكان صاعد متهماً بالكذب جريئاً عليه ، فأراد المنصور امتحانه ، فعمد إلى كراريس بيض وأمر أن تجلد وتزال جدتها حتى يتوهم فيها القدم ، وترجم عليها كتاب النكت تأليف أبي الغوث الصنعانى ، فترامى إليه صاعد حين رآه ، وجعل يقبله ، ويقول : إى والله ، قرأته بالبلد الفلانى على الشيخ أبى فلان ، فأخذ المنصور من يده خوفاً من أن يفتحه ، وقال : إن كنت قد قرأته كما تزعم ، فعلام يحتوى ؟ فقال : وأبيك لقد بعد عهدى به ، ولا أحفظ الآن منه شيئاً ، ولكنه يحتوى على لغة منشورة لا يشوبها شعر ولا خبر ، فقال له المنصور : أبعده الله مثلك ، فما رأيت أ كذب منك . وأمر بإخراجه وإلقاء كتاب الفصوص فى النهر ، فقال فيه بعض الشعراء ، وأجابه صاعد بما تقدم .

قال ابن بسام : وما أظن أحداً يجترئ على مثل هذا ، وإنما صاعد اشترط ألا يأتى إلا بالغريب غير المشهور ، وأعانهم على نفسه بما كان يتنفق به من الكذب . انتهى .

ومن جراته على الكذب نادرته فى الخنفشار ، وذلك أن المنصور سأله يوماً عنه ، فقال على البديهة : هو حشيشة يعقد بها الابن ببادية الأعراب ، وفى ذلك يقول شاعرهم :

لقد عقدت محبتها بقلبي كما عقد الحليب الخنفشار

ورواية هذه اللفظة بالخاء المعجمة والفاء هو المشهور في كتب الأدب التاريخ ، وقد رويت بالباء الموحدة في نسختي نفح الطيب المطبوعتين بمصر ، وردت في التي طبعت بأوربا بالخاء المهملة والباء الموحدة ، ورواية البيت فيها :  
لقد عُدَّتْ محبَّتُها بقلبي كما عُدَّ الحليبُ بحبِّشار

إلا أن المصحح ذكر بالحاشية ورودها في بعض النسخ بالخاء المعجمة والباء الموحدة ؛ وفي أخرى بالخاء أيضا والفاء ، وهو الصواب على ما ترجح عندي ، وما عداه محرف عنه . وسببه أن صاحب نفح الطيب تلمس أني كما هو معلوم ، وقاعدة المغاربة في الكتابة نقط الفاء بنقطة من تحت ، فيظهر أن نسخة الأصل كتبت بخط مغربي ، وطمس الكاتب رأس الفاء ، فظهرت بصورة الباء لما كان النقطة التحتية ، وتصحيف الخاء المعجمة بالخاء المهملة قريب . وإنما رجحت هذا الوجه ؛ لاشتهاره في سائر الكتب كما ذكرت آنفا . ويجوز أن يكون الصواب في أحد الوجهين الآخرين ، إلا أن مثل هذا لا يثبت إلا بنص ، ولم أقف على نص فيه . والخطب أسهل من أن نطيل فيه الكلام ؛ لأن الظاهر من مفاد القصة أن الكلمة مخترعة . والله أعلم .

## فصل في ثروته وزهده

قد علمت مما تقدم أن أبا العلاء كان من بيت ثراء وغنى ، والمتبادر في مثله أن يكون مثيراً كأهله ، ولكنك لو تتبعمت بقية أخباره ، وأنعمت النظر في أقواله عن نفسه ، سواء كانت نثراً أو شعراً ، ظهر لك أنه كان على العكس من ذلك . وحسبك تصريحه في إحدى رسائله إلى داعي الدعاة ، بأن الذي له في السنة تيف وعشرون ديناراً يشاركه خادمه في معظمها . وسيمر بك في هذا الفصل شيء من أشعاره المنبئة عن إملاقه وحاجته . والحقيقة المزيلة للبس أنه كان على شيء من الثروة نكب فيه قبل قفوله من بغداد ، فعاش بعد ذلك في كفاف ، بدليل قوله :

أثارني عنكمُ أمرانِ والدَّةُ لم ألقها وثرأء عاد مسفوتاً<sup>(١)</sup>  
أحيها الله عصر البين ثم قضى قبل الإياب إلى الذَّخَرين أنْ مُوتاً  
يعنى : أحيأ الله والدتي ومالي وأنا بعيد عنهما ، فلما أزمعت الإياب قضى على الوالدة بالموت ، وعلى المال بالضياع .

على أنه كان على فقره قنوعاً عيوقاً كبير النفس ، يضرب في علو الهمة بسهم وافر ، لم يسمع أنه استباح أحداً ، أو مدح طمعاً في نوال ، ومن قوله في خطبة سقط الزند : « ولم أطرق مسامع الرؤساء بالنشيد ، ولا مدحت طلباً للشواب ، وإنما كان ذلك على معنى الرياضة ، وامتحان الشُّوس<sup>(٢)</sup> ، فالحمد لله الذي ستر بَغْفَةً<sup>(٣)</sup> من

(١) المسفوت : القليل البركة .

(٢) الشُّوس : بالضم الطيبة .

(٣) البَغْفَةُ : بالضم : البقلة من العيش .

قَوَامُ العِيشِ ، وَرَزَقُ شَعْبَةٍ مِنَ الْقَنَاعَةِ أَوْفَتْ عَلَى جَزِيلِ الْوَفْرِ . وَمَنْ غَرَّرَ أَقْوَالَهُ  
فِي ذَلِكَ :

وَإِنِّي تَيْمَمْتُ الْعِرَاقَ لَغَيْرِ مَا      تَيْمَمَهُ غَيْلَانٌ عِنْدَ بِلَالٍ  
فَأَصْبَحْتُ مُحْسُودًا بِفَضْلِي وَحَدَهُ      عَلَى بَعْدِ أَنْصَارِي وَقَلَّةِ مَالِي  
غَيْلَانٌ هُوَ ذُو الرُّمَّةِ ، كَانَ قَصْدُ بِلَالٍ بِنِ أَبِي بُرْدَةَ بِنِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ  
مُسْتَمِيعًا ، وَفِيهِ يَقُولُ :

سَمِعْتُ : النَّاسُ يَنْتَجِعُونَ غَيْثًا      قُلْتُ لَصَيْدَحَ : انْتَجِعِي بِلَالًا  
وَصَيْدَحَ اسْمُ نَاقَتِهِ ، وَالرَّوَايَةُ فِي النَّاسِ بِالرَّفْعِ عَلَى الْحِكَايَةِ ؛ لِأَنَّهُ سَمِعَ مِنْ  
يَقُولُ : النَّاسُ يَنْتَجِعُونَ غَيْثًا ، فَحَسِبِي مَا سَمِعَ ، جَزَمَ بِذَلِكَ لِلْبَرْدِ ، وَعَدَّ الْحَرِيرِي  
النَّصَبَ مِنَ الْأَوْهَامِ ، وَذَهَبَ غَيْرُهُمَا إِلَى أَنَّهُ يَجُوزُ .

وَقَالَ أَبُو الْعَلَاءِ يَصِفُ حَالَهُ بِبَغْدَادَ :

تَمَنَّيْتُ أَنْ احْتَرَّ حَلَّتْ لِنَشْوَةِ      تُجَهِّلُنِي كَيْفَ اطْمَأْنَنْتَ بِي الْحَالِ  
فَأَذْهَلْ أَنِي بِالْعِرَاقِ عَلَى شَفَى      رَزَى الْأَمَانِي لَا أَنْيْسَ وَلَا مَالِ  
مُقَلٍّ مِنَ الْأَهْلَيْنِ يُسْرِ وَأُسْرَةٍ      كَفَى حَزَنًا بَيْنَ مُشْتٍ وَإِقْلَالِ  
وَكَمْ مَا جَدَّ فِي سَيْفٍ دَجَلَةٌ لَمْ أَشْمِ      لَهُ بَارِقًا وَالْمَرْءُ كَالْمَرْفِ هَطَالِ<sup>(١)</sup>  
مِنَ الْغَرِّ تَرَاكَ الْهَوَا جَرْمُ غَرَضٍ      عَنِ الْجَهْلِ قَذَافِ الْجَوَاهِرِ مَنْضَالِ  
سَيَطْلُبُنِي رَزَقُ الْمَذَى لَوْ طَلَبْتَهُ      لِمَا زَادَ ، وَالْدُنْيَا حُظُوظٌ وَإِقْبَالِ  
وَقَالَ أَيْضًا :

رَحَلْتُ لَمْ آتِ قِرْوَانًا أَزَاوِلَهُ      وَلَا الْمَهْدَبَ أَبْغَى الثَّيْلَ تَقْوِيَتَهُ  
وَالْمَوْتَ أَحْسَنَ بِالنَّفْسِ الَّتِي أَلْفَتْ      عِزَّ الْقَنَاعَةِ عَنْ أَنْ تَسْأَلَ الْقُوَّةَ

(١) السيف ، بالكسر : الساحل .

قرواش كان والياً ببغداد ، والمهذب وزيره . وروى أن المستنصر الفاطمي  
خليفة مصر بذل له ما في بيت مال المعرة من الحلال ، فلم يقبل منه شيئاً ، وقال :  
لا أطلب الأرزاق والسموئلي يفيض على رزقي  
إن أعط بعض القوت أعلم أن ذلك فوق حقي

ويعجبني قوله في لزوم مالا يلزم :

وكأننا الدنيا كعابٍ أيقنا رَجَى لها صِلَةً فذاك يَسَارُ  
وإذا الفتى لحظ الزمان بعينه هان الشقاء عليه والإعسار  
وقوله :

نوائب أَلقت في النفوس جراحها عصى كل آس في البرية سَبْرُهَا  
لِيَ القوت فليَغْمِر سَرَنديبَ حَظُّهَا من الدُرِّ أو يَكْثُرُ بَغَانَةٌ تَبْرُهَا  
سرنديب جزيرة قرب الهند ، فيها مغاوص للؤلؤ ، وتسمى اليوم سيلان ،  
وغانة مدينة كبيرة في جنوبي بلاد المغرب ، هي مدخل بلاد التبركا في ياقوت ،  
وتطلق اليوم على أرض واسعة في غربي قارة إفريقية ، تقاسمها الإفرنج بينهم ،  
واسمها في لغتهم (Guinée) جينا بالإمالة ، أو : غينا ، والأصل فيه غانة ؛ كما قدمنا ،  
والرجوع إليه أولى . ويطلق الإفرنج هذا الاسم أيضا على أول دينار إنجليزي  
ضرب من الذهب المستخرج من هذه الجهة ، وأبطل الإنجليز التعامل به من  
سنة ١٨١٧ ميلادية ، واستعاضوا عنه بدينارهم المسمى (Souverain) سوفران ،  
ومن هذا تعرف سبب تسمية المصريين كل دينار بالجنيه ، وكان الصواب أن  
يسموه بالغانى ، إن أرادوا النسبة إلى تلك الجهة ، وإلا فالرجوع إلى الدينار أولى .  
وكان شأن أبي العلاء في الزهد والتقشف والإعراض عن الدنيا شأننا عجبا ،  
ولا يذهبن بك الظن فتتوهم أن للفقر مدخلا في زهده ، فإن من تُبَذِّل له الخزان ،

وتُعَرِّض عليه الصلات ، لا تستعصى عليه غاية من الغايات ، ولكنه نظر إلى هذا المتاع الزائل نظر مَنْ لم يُلمه زخرفه عن استطلاع حقيقته ، فصَدَّ عنه وزهد فيه جهلًا ، وأخذ نفسه بالرياضة والخشونة ، والإعراض عن العرض الفانى ؛ فكان لباسه القطن ، وفرشه اللَّبَد ، وحصيرُهُ برديَّة ، وطعامه الفول والعَدَس ، وحلاوته التين ، وفيه يقول :

يقنعني بُلْسُنٌ يُمَارَسُ لِي      فَإِنِ أَتَنَى حِلَاوَةَ فَبِلْسُنٍ<sup>(١)</sup>  
فَلَسٌ مَا اخْتَرْتَ إِنِّ أَرْوَحُ مِنْ      يسار قاروت عَفَّةٍ وَفَلَسٍ<sup>(٢)</sup>  
وسنورد مختار شعره في الزهد ، متى وصلنا إلى الكلام على منظومه ، كما أننا سنشبع القول في سبب تجافيه عن أكل الحيوان ، عند الكلام على معتقده .

وكان رحمه الله ، على عوزه ورقة حاله ، بذولا لما عنده ، غير مانع معروفًا عن مستحق ، يتكلف في ذلك ما استطاع . بَلَغَهُ مَرَّةً أَنْ شَاعِرًا يَلْقَبُ بِصَرِيعِ الْبَيْنِ سَاءَتْ بِهِ الْحَالُ ، فَأَنْفَذَ إِلَيْهِ قَدْرًا مِنَ الدَّرَاهِمِ ، وَأَتْبَعَهَا بِقَصِيدَةٍ يَقُولُ فِيهَا :

قد استحييت منك فلا تكلفني      إلى شيء سوى عذر جميل  
وقد أنفدت ماحق عليهِ      قبيح الهجو أو شتم الرسول  
وذاك ، على انفرادك ، قوت يوم      إذا أنفقت إنفاق البخيل  
فكيف وأنت علوى السجايا      فليس إلى اقتصادك من سبيل  
إلى أن يقول :

فإن يك ما بعثتُ به قليلًا      فلي حال أقل من القليل

وحدث للقاضي أبي محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر الفقيه المالكي المشهور

(١) البلسن بالضم : العَدَس ، والبلس بالتحريك : التين .

(٢) اللس : الأكل .



ضيق وشدة ، وهو ببغداد ، فلم يربُّدًا من الرحيل عنها ، وخرج لتشيعه يوم فصل جمع من أكابرها ، وطوائف كثيرة من أهلها ، وما فيهم إلا متوجع لفراقه ، أو آسف على فوات الاستفادة من علمه ، فقال لهم عند الوداع : لو وجدت بين ظَهْرَانَيْكُمْ رغيفين كل غداة وعشيّة ما عدلت عن بلدكم . فلم تحرك مقالته واحداً منهم ، يتكفل له بما طلب ؛ فسار عنهم قاصداً مصر ، واجتاز بمجرة النعمان ، وبها يومئذ أبو العلاء ، فأضافه واحتفى به ، وفيه يقول :

والمالكيّ ابن نصر زار في سفر بلادنا فحمدنا الذأى والسفرا  
إذا تفقه أحيا مالكا جدلاً وينشرُ الملكَ الضليلَ إن شَعَرَا<sup>(١)</sup>

ثم حباه عند رحيله بثلاثين درهما ، وخاطبه معذراً بقوله :

|                               |                                |
|-------------------------------|--------------------------------|
| أَيَبْسُطُ عذري منم أم يخصني  | بما هو حظي من أليم عتاب        |
| قبول الهدايا سُنَّةٌ مستحبةٌ  | إذا هي لم تسلك طريق تحاب       |
| فيا ليتني أهديت خمسين حِجَّةً | مضت لي فيها صحتي وشبابي        |
| وقلّت له فترك ثلاثين أسوداً   | متى ما تُكشَّفُ تُلفَ غير لباب |
| إذا أسكت المحتجّ كلّ مناظر    | فعند ابن نصر نجدة بجواب        |
| وما أنا إلا قطرة من سحابة     | ولو أنني صَنَّفْتُ ألفَ كتاب   |
| وبين يديه كفر طاب وإنسها      | يعيش لفقد الماء عيش ضباب       |
| لعل الذي أنفدتُ يكفيه ليلة    | لإسباغ طهر حان أو لشراب        |

يقول : لعل هذه الدراهم القليلة ، وإن كانت سوداء غير خالصة الفضة ، تكفي الشيخ لأن يشتري بها قليلاً من الماء لطهره أو لشربه ؛ فإنه معرج على كفر طاب ، وهي قليلة الماء ، وأهلها يعيشون بها عيش الضباب ، وإنما خص الضباب

بالذكر ؛ لأنها تصبر على العطش . وبعض الحقيقتين من أهل عصرنا يرى أن  
كفر طاب هي البلدة المسماة الآن بإدلب ، وهي قصبة قضاء باسمها ، من لواء حلب .  
ولم تزل قليلة الماء . وفيها يقول أبو العلاء في لزومياته :

أرى كفر طاب أعجز الماء حفرها وبالس أغناها الفرات عن الحفر<sup>(١)</sup>  
كذلك مجرى الرزق ، واد بلا ندى وواد به فيض وآخر ذو جفر  
ولما وصل القاضي عبد الوهاب المذكور إلى مصر ، أقيمت عليه الدنيا ،  
وانتهالت عليه صلوات الأسراء ، ولكنه لم يتمتع بشيء منها ، بل مات عقب وصوله  
من أكلة اشتهاها ، ومعموه يقول وهو يتقلب ويتمل : لا إله إلا الله ، إذا عشنا  
متنا . وهو القائل في بغداد :

بغداد دار لأهل المال طيبة وللمفاليس دار الضنك والضيق .  
ظلمت حيران أمشي في أزقتها كأنني مصحف في بيت زنديق

---

(١) بالس كصاحب : بلدة بسط الفرات .

## فصل في بقية أخباره

لما دخل أبو العلاء بغداد أقبل عليه عطاؤها وأدباؤها ، معجبين بنطنته ، وسعة علمه . واختص بصحبته جماعة منهم : كأبي القاسم علي بن المحسن القاضي النفوخي ، وكحازن دار العلم ، والشريفين الرضي والمرتضى ابني أبي أحمد الموسوي ، وغيرهم . وكان المرتضى شديد الاختصاص به ، وله معه مباحثات ومداعبات .

{ روى أنه حضر مجلسه يوما ، وجرى ذكر المتنبي فتنقصه المرتضى ، وجعل يتتبع عيوبه ؛ لبغضه له ، وتعصيه عليه . وكان أبو العلاء على عكسه يتعصب للمتنبي ، ويزعم أنه أشعر المحدثين ، ويفضله على بشار ومن دونه ؛ كأبي نواس وأبي تمام . فقال : لو لم يكن للمتنبي إلا قوله : ( لك يا منازل في القلوب منازل ) لكفاه فضلا . فغضب المرتضى ، وأمر به فأخرج من مجلسه ، ثم التفت إلى من يحضرته ، وقال لهم : أتدرون أي شيء أراد الأعمى بذكر هذه القصيدة ، مع أن لأبي الطيب ما هو أجود منها ؟ فقالوا : النقيب السيد أعرف ، فقال : أراد قوله في هذه القصيدة :

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأنني كامل

قلت : ومن التلميح المستعذب بهذا البيت ، ما وقع للفتح بن خاقان مع ابن الصائغ ، وقد ذكره بسوء في كتابه قلائد العقيان ، فر عليه ابن الصائغ يوما وهو في جماعة ، فضرب بيده على كتفه ، وقال : إنها شهادة يا فتاح . ثم مضى في سبيله ، فتغير لون الفتح ، وقال : والله ما بلغت بوصني له في كتابي عشر ما بلغ مني بهذه الكلمة !

ويشبه قصة المعري مع المرتضى ما وقع للخالدين مع سيف الدولة ، لما عتاباه في تفضيله المتنبي ، وقالوا : ليختر الأمير ما شاء من قصائده ، حتى ننظم ما هو أجود منها ، فاقترح عليهما أن يعارضا قوله :

لَعَيْنَيْكَ مَا يَلْقَى الْفُؤَادَ وَمَا لِقَى      وللحب ما لم يَبْقَ مَنَى وَمَا بَقِيَ  
فلما كررا النظر فيها لم يجداها من غرر قصائده ، ثم فطنا إلى أن سيف الدولة أراد بهما قوله فيها :

إذا شاء أن يلهو بلحية أحق      اراه غبارى ثم قال له الحق  
فأحجبا عن المعارضة ولم يعاوداه . وفي رواية أن هذه القصة وقعت للسري الرفاء لا الخالدين . وحكى بعضهم ، قال : خرجت على سبيل الفرجة ، فقعدت على الجسر ببغداد ، فأقبلت امرأة من جانب الرصافة تريد الجانب الغربي ، فاستقبلها شاب فقال لها : رحم الله على بن الجهم ، فقالت في الحال : ورحم الله أبا العلاء المعري . ولم يقفا ، ومرّا مشرّقا ومُغرّبةً ، فتتبعت المرأة وقلت لها : أخبريني عافاك الله عما قال لك ، وعما أجبته به ، فقالت : نعم ، رحم الله على بن الجهم ، أراد قوله :

عيون المها بين الرصافة والجسر      جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى  
وأردت بترحمي على أبي العلاء قوله :

فيما دارها بالحزن إن مزارها      قريب ولسكن دون ذلك أهوال  
وروي أن أحد الشرفاء سقط منه خاتم في الحرم ، فقال له أحد بني عمه :  
لم لم تقف على طلب هذا الخاتم الثمين ؟ فقال له : أأست من أبناء أمير المؤمنين ؟  
أراد الأول قول المتنبي :

بليت بلى الأطلال إن لم أقف بها      وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمهُ

وأراد الثانى قوله من قصيدة أخرى :

كذا الفاطميون الندى فى أكنههم      أعزُّ أمحاء من خطوط الرواجب<sup>(١)</sup>  
يريد : أن الندى ملازم لأكنههم ، كما أن خطوط الرواجب ملازمة لها .  
وفى البيت الأول نادرة لأبى العلاء ، وذلك أنه بلغ من ولوعه بالمتنبى أنه  
كان إذا ذكر الشعراء يقول : قال أبو نواس كذا ، قال البحتري ، قال أبو تمام ،  
فاذا أراد المتنبى قال : قال الشاعر . فقليل له يوماً : لقد أسرفت فى وصفه ، فقال :  
أليس هو القائل :

بليت بلى الأطلال إن لم أقف بها      وقوف شحيح ضاع فى الترب خاتمه  
كم يقف الشحيح على خاتمه ؟ يقف عليه أر بعين يوما . فقليل له : ومن أين  
علمت ذلك ؟ قال : سليمان بن داود عليهما السلام وقف على طلب الخاتم أر بعين  
يوما ، فقليل له : ومن أين علمت أنه بخيل ؟ قال : من قوله تعالى : وهب لى ملكاً  
لا ينبغى لأحد من بعدى ، وما كان عليه أن يهب الله لعباده أضعاف ملكه !  
ولما بلغ أبا العلاء وفاة أبى أحمد الطاهر أبى الشريفين الرضى والمرضى  
سنة ٤٠٣ ، رثاه وهو بالمعرة بقصيدة فائية طويلة ، أجاد فيها كل الإجادة ،  
وأنفذها إليهما ، مطلعها :

أودى فليت الحادثات كفاف      مال المسيف وعنبر المستاف

ومن غريب قوله فيها يخاطب الغراب :

لا خاب سعيك من خفاف أسحم      كسحيم الأسدى أو كخفاف  
من شاعر للبين قال قصيدة      يرثى الشريف على روى القاف  
بنيت على الإبطاء سالمة من الإقواء      والإكفاء والإصراف

(١) الرواجب : واحدتها راجبة ، وهى مفاصل الأصابع .

الخُفَافُ : الخفيف ، وسُحَيْمٌ : عبد بنى الحَسَّاحس ، كان أسود ؛ وأراد  
يُخَفِّفُ : خُفَافٌ بِنُذْبَةٍ<sup>(١)</sup> أحد غربان العرب وشعرائها ، يعنى كأن هذا الغراب  
شاعر أسود كهذين الشاعرين ، ينعى لنا الشريف بنعيبه ، ويرثيه بقصيدة قافية ؛  
لأنه يقول فى نعيبه : غاق غاق . وهذه القصيدة بنيت على الإيطاء ؛ لأنه يردد هذه  
الكلمة فى قوافيها ، إلا أنها سالمة من الإقواء ، وهو الاختلاف بين القوافى بالرفع  
والجر ؛ ومن الإكفاء ، وهو المخالفة بينها بالحروف ؛ ومن الإصراف ، وهو  
الإقواء بالنصب .

ومن صحب أبا العلاء وأخذ عنه وهو ببغداد القاضى أبو القاسم على بن الحسن  
التنوخى المتقدم ذكره ، وكانت بينهما رابطة اتحاد . وحمل إليه مرة جزءاً من  
أشعار تنوخ فى الجاهلية ، مما كان جمعه والده أبو على المحسن ، فلما تعجل  
أبو العلاء الرحيل عن بغداد تركه عند أبى أحمد عبد السلام ، وسأله رده إلى  
أبى القاسم ، وسار عن بغداد ، فحشى أن يكون أغفله ، فكتب يخاطب أبا القاسم  
بقصيدة ضمنها أغراضاً ، يقول فيها :

أهدى السلام إلى عبد السلام فما      يزال قلبي إليه الدهر ملفوتا  
سأله قبل يوم السير مبعثه      إليك ديوان تيمم اللات ماليتاً<sup>(٢)</sup>  
هذا لتعلم أى ما نهضت إلى      قضاء حج فأغفلت المواقيتا

وروى ابن خلكان وابن الوردى فى تاريخيهما ، نقلاً عن كتاب للحافظ  
أبى طاهر السلفى ، وضعه فى أخبار أبى العلاء ، قال فيه مسنداً عن القاضى أبى الطيب  
الطبرى : كتبت إلى أبى العلاء المرمى حين وافى بغداد ، وقد كان نزل فى  
سُوقَةِ غَالِب :

(١) نذبة بفتح أوله أو ضمه : أم خفاف ، وهو أحد من نسب إلى أمه من الشعراء .  
(٢) أى ما تقص .

وما ذات دَرٍ لا يَحِلُّ لحالب      تَنَاولُهُ واللحم منها مُحَلَّلٌ  
 لمن شاء في الحالين حيًّا ومَيِّتًا      وَمَنْ رام شرب الدَّرِّ فهو مُضَلَّلٌ  
 إذا طَعَنَتْ في السن فاللحم طَيِّب      وآكِلُهُ عند الجميع مُعَقَّلٌ  
 وخرقائها للأكل فيها كزازة<sup>(١)</sup>      فما لحصيف الرأي فيهن مأْكَلٌ  
 وما يجتنى معناه إلا مَبْرَزٌ      عليم بأسرار القلوب مُحَصَّلٌ  
 فاجابني ، وأملى على الرسول في الحال :

جوابان عن هذا السؤال كلاهما      ضوَابٌ وبعض القائلين مضلل  
 فمن ظنه كَرَمًا فليس بكاذِبٍ      وَمَنْ ظَنَّهُ نَحْلًا فليس يُجْهَلُ  
 لحومهما الأعناب والرُّطْبُ الذي      هو الحِلُّ والدَّرُّ الرحيق المُسَلَّسَلُ  
 ولكن ثمار النخل وهي غَضِيضَةٌ<sup>(٢)</sup>      تَمَرٌ<sup>(٣)</sup> وَغَضُّ الكَرَمِ يُجْنَى ويؤْكَلُ  
 يكلفني القاضي الجليل مسائلًا      هي النجم قدرًا بل أغر وأطول  
 ولو لم أَجِبْ عنها لكنت بجهلها      جديرًا ولكن من يَوَدُّكَ مُقْبِلُ  
 قال القاضي أبو الطيب : فأجبتُه عنه ، وقلت :

أثار ضميري من يعزّ نظيره      من الناس طُرًّا سابغ<sup>(٤)</sup> الفضل مَكْمَلُ  
 وَمَنْ قلبه كُتِبَ العلوم بأسرها      وخاطره في حدة النار مُشْعَلُ  
 تساوى له سرّ المعاني وجهرها      ومُعْضِلُهَا باد لديه مُفَصَّلُ  
 ولما أثار الحُبَّ قاد<sup>(٥)</sup> منيعه      أسيرًا بأنواع البيات يُكَبَّلُ

(١) الكزازة : اليبس والانقباض .

(٢) رواية ابن الوردي : رطبية .

(٣) سر يمر بالفتح والضم : ضد يحلو .

(٤) رواية ابن الوردي : سابق .

(٥) رواية ابن الوردي : ولما أثار الغبَّ فار معينه .

وقربه من كل فهم بكشفه  
وأعجب منه فظمه الدر مسرعا  
فيمخرج من بحر ويسمو مكانه  
فهناؤه الله الكريم بفضله

فأملى أبو العلاء على الرسول مرتجلا :

ألا أيها القاضي الذي بدهائه  
فؤادك معمور من العلم أهل  
فإن كنت بين الناس غير ممول  
إذا أنت خاطبت الخصوم مجادلا  
كأنك من في الشافعي مخاطب  
وكيف يرعى علم ابن إدريس دارسا  
تفضلت حتى ضاق ذرعى بشكر ما  
لأنك في كنه الثريا فصاحة  
فعدري في أنى أجبتك واثقا  
وأخطأت في إنفاذ رقعتك التي  
ولكن عداني أن أروم احتفاظها  
ومن حقها أن يصبح المسك عطرا  
فمن كان في أشعاره متمثلا  
تجملت الدينيا بأنك فوقها

والقاضي أبو الطيب المذكور كان أديبا ورعا ، عارفا بأصول الفقه وفروعه ،



صنف في الأصول ومذهب الشافعي والخلاف والجدل — كتباً كثيرة . وكان يقول الشعر على طريقة الفقهاء ، وولى القضاء بربيع الكرخ ببغداد ، ولم يزل عليه إلى أن مات سنة خمسين وأربعمائة ، بعد ما عاش مائة سنة وسنتين ، لم يخل عقله ، ولا تغير فهمه ، يفتي ويستدرك على الفقهاء الخطأ ، ويقضى ، ويحضر المواكب في دار الخلافة . رحمه الله تعالى .

ومن أخبار أبي العلاء قصته مع أسد الدولة صالح بن مرداس صاحب حلب ، وقبوله شفاعته في أهل معرة النعمان بعد أن كاد يبطش بهم سنة ٤١٧ . والسبب في ذلك أن امرأة صاحبة يوم الجمعة بجامع المعرة ، وذكرت أن صاحب الماخور أراد اغتصابها ، فنفر كل من في الجامع وهدموا الماخور ، وأخذوا خشبه ونهبوه ، وكان الأمير أسد الدولة في نواحي صيدا ، فوصل المعرة ، وخيم بظاهرها ، واعتقل من أعيانها سبعين رجلاً برأى وزيره تادرس بن الحسن الأستاذ ، وأوهمه أن في ذلك إقامة للهيبة . فشق على المسلمين هذا الأمر ، حتى دعوا لهؤلاء المعتقلين على منابر آمد وميارقين . وقطع تادرس عليهم ألف دينار ، ففرغ أهل المعرة إلى أبي العلاء ، وسألوه تلافياً الأمر بالخروج إلى الأمير ، والتوسط لهم عنده . فخرج من أحد أبواب المدينة ، ويده في يد قائده ، وأبصره صالح ، فرأى شيخاً قصيراً يقوده رجل ، فقال : هذا أبو العلاء ، جيئوني به . فلما مثل بين يديه سلم عليه ، ثم قال : « الأمير أطال الله بقاءه كالنهار الماتع ، قاط وسطه وطاب إبراده ، أو كالسيف القاطع ، لان متنه وخشن حداه ، » خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » . فقال صالح : « لا تثريب عليكم اليوم ، قد وهبت لك المعرة وأهلها » وأمر بتقويض الخيام ورحل . فرجع أبو العلاء وهو يقول :

نَجَّى المَعْرَةَ مِنْ بَرَّائِنِ صَالِحٍ      رَبِّ يَعْفِي كُلَّ دَاءٍ مَعْضِلٍ

ما كان لي فيها جناح بحوضه الله ألحفهم جناح تفضل  
ورواية اللزوميات في البيت الأول :

نجى العاشر من برائن صالح ربُّ يُفَرِّجُ كُلَّ أَمْرٍ مُّعْضِلٍ  
وفيه أيضاً : البسهم ، بدل : ألحفهم . ولم يعلم أبو العلاء أن المال قد قطع عليهم ،  
وإلا كان قد سأل فيه أيضاً . وفي هذه القصة يقول وضمنها لزومياته :

تَفَيَّيْتُ فِي مَنْزِلِ بَرَهْةٍ      سَتِيرَ الْعُيُوبِ فَقِيمِدَ الْجَسَدِ  
فَلَمَّا مَضَى الْعُمُرُ إِلَّا الْأَقْلَ      وَحُمَّ لِرُوحِي فِرَاقُ الْجَسَدِ  
بُعِثْتُ شَفِيعاً إِلَى صَالِحٍ      وَذَاكَ مِنَ الْقَوْمِ رَأَى فَسَدَ  
فَيَسْمَعُ مِنِّي سَجْعَ الْحَمَامِ      وَأَسْمَعُ مِنْهُ زَيْبَرَ الْأَسَدِ  
فَلَا يُعْجِبُنِي هَذَا التَّفَاقُ      فَكَمْ نَفَقْتُ مِحْنَةً مَا كَسَدَ

وصالح هذا هو أسد الدولة أبو علي صالح بن مرداس السكلابي أول ملوك  
بنى مرداس بحلب ، كان من عرب البادية ، وكانت له عشيرة وشوكة ، فقصده  
مدينة حلب واتزعاها من مرتضى الدولة بن لؤلؤ ، نائب الظاهر بن الحاكم  
الفاطمي خليفة مصر ، وتملكها سنة ٤١٧ . ثم جهز الظاهر الجيوش ووجهها إليه ،  
وجرت مقتلة انجلت عن قتل صالح سنة ٤٢٠ ، وقيل سنة ٤١٩ .

وهو الذي عناه أبو العلاء بقوله في لزومياته :

أَرَى حَلَبًا حَازَهَا صَالِحٌ      وَجَالَ سِنَانٌ عَلَى جِلْقَا  
وَحَسَنَانُ فِي سَلَفِي طَيِّءٍ      يَصْرِفُ مِنْ عِزِّهِ أَهْلَقَا

وذكر السيوطي في بغية الوعاة في ترجمة نصر بن صدقة القابسي النحوي ،  
أنه كان ممن يعانى الأدب ، فقدم مصر وأخذ عن علمائها ، ثم توجه إلى المعرة  
فلازم أبا العلاء ، وأخذ عنه ديوانه سقط الزند ، وكتب منه نسخة جيدة ، ورجع

إلى مصر، فقدمها للحاكم وقرأها عليه، فأعجبه نظمه، وأرسل إلى عزيز الدولة الوالى بحلب، أن يحمله إلى مصر، فاعتذر فكف عنه. هذا ما ذكره السيوطى. وفي مقدمة رسالة المعرى تسمى بالفلاحية: أن القابسى المذكور لما رجع إلى مصر بنسخته سقط الزند، أهداها للوزير أبى نصر صدقة بن يوسف الفلاحى، فأعجب بها، واستدعى كاتب الديوان، وأمره أن يكتب إلى عزيز الدولة متولى حلب وأعمالها فى حمل أبى العلاء إلى مصر، لينبئ له دار علم، وسمح بخراج معرة النعمان له فى حياته وبعده، فوصلت الأوامر إلى ديوان الشام بكتب السجل، فكتب، وجهاز على البريد. فلما وقف عليه عزيز الدولة نهض للوقت، حتى دخل معرة النعمان، وقرأ السجل على أبى العلاء، فقال: أمهاني حتى أكتب جواب السجل إلى مجلس الوزارة، فلعل العفو يساعنى بالمقام فى بلدى؛ إذ لا يمكننى الخروج منه. فأمله الأمير، فأحضر الكاتب للوقت، وأملى عليه هذه الرسالة يعتذر فيها عن عدم الرحيل بعجزه عنه. والوزير الفلاحى المذكور وُزِّرَ للمستنصر سنة ٤٣٦ وعزل سنة ٤٣٩. ولم تسبق له وزارة مدة الحاكم بأمر الله، حتى يمكن الجمع بين الروايتين. وقد تقدم أن المستنصر بذل لأبى العلاء ما يببى مال المعرة من الحلال، فلم يقبله. فلعل ذلك كان بسعى هذا الوزير، وفيه ما يرجح الرواية الثانية. إلا أن يكون مراد السيوطى مطلقاً كما بمصر، لا الحاكم بأمر الله على الخصوص. وكان هذا الوزير فى أول أمره يهودياً، ثم أسلم. وفيه يقول الحسن بن خاقان الشاعر المصرى:

حجاب وإعجاب وفرط تصلف      ومد يد نحو العـلا بتكلف  
فلو كان هذا من وراء كفاية      عذراً ولكن من وراء تخلف  
وكان معه أبوسعده التستري اليهودى يدبر الدولة له، فقال بعض الشعراء:

يهود هذا الزمان قد بلغوا غاية آمالهم وقد ملكوا  
العز فيهم والمال عندهم ومنهم المستشار والمالك  
يا أهل مصر إني نصحت لكم تهودوا قد تهود الفلك  
ومن ارتبط مع أبي العلاء برابطة الود ، وجمعه به آصرة الأدب ؛ الوزير  
أبو القاسم الحسين بن علي العالم الأديب المشهور بالوزير المغربي ، صاحب مختصر  
إصلاح المنطق ، وأدب الخواص ، والمأثور في ملح الخدور ، وكتاب الإيناس ،  
والديوان الشعر . وهو الذي كتب له أبو العلاء رسالته المسماة بالمنيع ، ورسائل  
أخرى . ولما فرغ من تأليف مختصر إصلاح المنطق لابن السكيت أنفذ إلى أبي  
العلاء نسخة منه ، فقرظها برسالة طويلة سماها بالإغريضية ، أثنى عليه فيها ثناء  
جماً ، ووصف المختصر ، وبالح في مدحه . ووقفت في رسائل لأبي العلاء مخطوطة  
على كتاب أرسله له هذا الوزير ، يتشوق إليه وإلى أخيه ، ويشتكى من الدهر  
وصروفه ، ويسأل الله أن يجمعه بهما ، وضمنه كثيراً من شعره في هذه الأغراض .  
ولولا خوف الإطالة لأثبتته هنا .

وكان الوزير المذكور من الدهاة العارفين ، محبا للفتن ، مثيراً للقلاقل ، قتل  
الحاكم بأمر الله أباه وعمه وأخويه ، فهرب إلى الرملة ، ثم انتقل إلى الحجاز ، وهو  
يفسد نيات الولاة على الحاكم حتى أقلقه . ودخل العراق فاتهمه القادر العباسي  
بالسعي في إفساد الدولة العباسية ، فلم يزل منتقلا في البلاد حتى مات بميافارقين  
سنة ٤١٨ على الأصح . ونقل إلى الكوفة بوصية منه ، ودفن في تربة مجاورة  
لمشهد الإمام كرم الله وجهه ؛ وأوصى أن يكتب على قبره :

كنت في سَفَرَةِ الغَوَايَةِ والجَهْلِ لِمَقِيمِا فحان مني قدوم  
تبّت من كل مأثم فعسى يُنّه يحى بهذا الحديث ذاك القديم

بعد خمس وأربعين لقد ما طلت إلا أن الغريم كريم

ورثاه أبو العلاء بأبيات أثبتتها في لزومياته ، وهي :

ليس يبقى الضرب<sup>(١)</sup> الطويل على الأرض ولا ذو العبالة<sup>(٢)</sup> الدراحية<sup>(٣)</sup>  
يا أبا القاسم الوزير ترخلت وخلفتني ثفال<sup>(٤)</sup> رحاية<sup>(٥)</sup>  
وتركت الكتب الثمينة للناس وما رحت عنهم بسحاية<sup>(٦)</sup>  
ليتني كنت قبل أن تشرب المو ت أصيلا شربته بضحية<sup>(٧)</sup>  
إني نحتك المنون قبلي ، فإني مُنتحاهَا وإنها مُنتحاية<sup>(٨)</sup>  
أثم دفر تقول بعندك للذا ثق لا طعم لي فأين فحاية<sup>(٩)</sup>  
إن يخطئ الذنب اليسير حفيظا لك فكم من فضيلة محاية<sup>(١٠)</sup>

وكان ابن القارح صاحب الرسالة المشهورة المعرى يؤدب الوزير المغربي في

صباه ، ثم صار يذمه ويعدد معايبه ، حتى قال في هجوه :

لَقَّبْتَ بِالْكَامِلِ سَتْرًا عَلَى نَقْصِكَ كَالْبَانِي عَلَى الْخُصِّ  
فَصَرْتَ كَالْكُنْفِ إِذَا شَيْدَتْ بِيَضِّ أَعْلَاهِ بِالْجِصِّ  
يَا عُرَّةَ الدُّنْيَا بَلَا غُرَّةَ وَيَا طُوَيْسَ<sup>(١١)</sup> الشُّؤْمِ وَالْحَرْصِ  
قَتَلْتَ أَهْلِيكَ وَأَنْهَبْتَ يَدَ اللَّهِ بِالْمَوْصِلِ تَسْتَعْصِي

(١) الضرب : الخفيف اللحم .

(٢) ذو العبالة : الغليظ ، والدراحية : القصير .

(٣) الثفال بالكسر : الجلد الذي يوضع تحت الرحي .

(٤) سحاية القرطاس : ما سحى منه ، أى أخذ .

(٥) الفعا ويكسر : البذر : وفى القدر : كثير أبازيره .

(٦) طويس : أول من غنى في الإسلام يضرب به المثل في الشؤم ؛ لأنه ولد ليلة مات

رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وفطم يوم مات أبو بكر ، وبلغ يوم مات عمر ، وتزوج يوم قتل عثمان ، وولد له يوم قتل على .

وبلغ أبا العلاء كلامه فيه فامتعض وتألم . فلما كتب ابن القارح رسالته قال فيها في هذا الخصوص مخاطباً أبا العلاء : « بلغني عن مولاي الشيخ — أدام الله تأييده — أنه قال وقد ذُكرتُ له : أعرفه خيراً ، هو الذي هجا أبا القاسم الحسين ابن علي المغربي . فذلك منه أدام الله عزه رائع لي ، خوفاً أن يستشرّ طبعي ، وأن يتصورني بصورة من يضع الكفر موضع الشكر ، وهو بتعريف التنكير أنفع لي عنده ، لجلالة قدره ودينه ونسكه . وأنا أطلعه طلعته ، ليعرف خفّضه ورّفعه ، وفُرّاداه وجمعه » . ثم ساق بعد ذلك نوادر عن هذا الوزير في تهوره ومحبتة لافتن ، ونقضه للعهود ، فأجابه أبو العلاء في رسالة الغفران بأن هذا الصديق قد مات ، وأولى بمن يغفر الذنب للحي أن يغفره له وهو ميت .

وكان أبو الخطاب محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم الجبلي<sup>(١)</sup> شاعراً ، وكان بينه وبين أبي العلاء المعري مشاعرة ، وفيه قال أبو العلاء قصيدته :  
غير مجدٍ في ملّتي واعتقادي    نوحُ بالكِ ولا ترثمُ شادٍ  
ومات أبو الخطاب في ذي القعدة سنة ٤٣٩ . كذا ذكر ياقوت في معجم البلدان ١ .

(١) الجبلي : نسبة إلى جبل بفتح الجيم وتشديد الباء وضمة : بلدة بين النعمانية وواسط ، كما في ياقوت .



## شعره

---

فصل في المكرر في معانيه .

» » سرقاته .

» » مأخذ الشعراء من شعره .

» » مقارنة بعض معانيه بمعاني غيره .





## فصل فى المكرر فى معانيه

تكرير المعانى وقع لكثير من الشعراء ، ولم نر أحداً عابهم به ، إلا إذا كان المعنى فى نفسه ساقطاً مرذولاً ، يؤاخذ الشاعر عليه ، فتكون مؤاخذته على تكريره وترديده أولى . ومن الشعراء من يكرر الألفاظ فيعمد إلى بيت أو شطر بيت سبق له ، فيعيد به فى قصيدة أخرى ؛ إما بتغيير قافية ، أو بجعل الصدر عجزاً ، أو بالعكس . وهذا النوع يسميه أصحاب البديع بالتفصيل ، فإذا كان مأخوذاً من شعر الغير سموه : إيداعاً ، أو تضميناً ، على اختلاف بينهم فيه . ولم نقصد هنا التكلم عليه ، بل اقتصرنا على ما كرره أبو العلاء من معانيه .

فمنها قوله فى تشبيهه مسامير حلق الدروع بعيون الجراد :

سليمية من كل قتر يحوطها      قتر نبت عنه الغوانى العوانس  
تُخِيلُ أَبْصَارَ الدَّبَى فَمَسْهَدٌ      ومُؤَنَّفٍ وَشَىءٌ بَيْنَ ذَيْنِكَ نَاعِسُ  
كرره فقال :

كأن الدبى غرقى بها غير أعين      إذا رُدَّ فيها ناظر يستبينها  
وكرره فقال :

كأثواب الأراقم مزقتها      نفاطتها بأعينها الجرادُ  
وكرره أيضاً فقال :

بدلاص كأنها      بمض ماء الثماد  
حلة الأيم خيطات      بعيون الجراد

وكرره فقال :

أتأكل درعى أن حسبت قتيورها      وقد أجدبت قيس عيون جراد

\*\*\*

وقوله في تشبيه الدرع بالمبرد :

وما بُرْدَةٌ في طيها مثل مبرد      بما جزة عن ضم شخص وأوصال

كرره فقال :

مُضَاعَةٌ في نشرها نهى مُبرِدٍ      ولكنها في الطي تُحَسَّبُ مِبْرَدًا

\*\*\*

وقوله :

ذكى القلب يخضبها نجيمًا      بما جعل الحرير لها جلالا

كرره وبالع فيه فقال :

غذاهنَّ محرّ النجيع قوارحًا      كما كُنَّ يُغْذَيْنَ الضريبَ مِهَارًا

\*\*\*

وقوله في تشبيه فرند السيف بآثار ديبب النمل :

ودبت فوقه حمر المنايا      ولكن بعد ما مُسِخَتْ نَمَلًا

كرره فقال :

كأن المنايا جيش ذرّ عرمم      تخذن إلى الأرواح فيه مسارا

وكرره أيضًا فقال :

ما كنت أحسب جفنا قبل مسكنه      في الجفن يطوى على نار ولا نهر

ولا ظننت صغار النمل يمكنها مشى على اللبج أو سعى على الشعر<sup>(١)</sup>

\*\*\*

وقوله في تشبيهه طحلب الماء باللاثام :

وملتهم بالغلفق الجعد عرست عليه فلم تكشف خفي لثامه  
وكرره فقال :

وكم أوردتها عدا قديما يلوح عليه من خزي خمار

\*\*\*

وقوله :

فالنفس تبني الحياة جاهدة وفي يمين المليك مقودها  
فلا اقتحام الشجاع مهلكها ولا توقى الجبان مخلدُها

كرره فقال :

فكن في كل نائبة جريئا تُصب في الرأي إن خطي الهدان<sup>(٢)</sup>  
وسائل من تنطس في التوقى لأية علة مات الجبان

\*\*\*

وقوله :

تمتع أبكار الزمان بأيده وجئنا بوهن بعد ما خرف الدهر  
كرره فقال :

كأنما الخير ماء كان وارده أهل العصور فما أبقوا سوى العكر

وقوله :

وكل يريد العيش والعيش حنفة ويستعذب اللذات وهي سمام

(١) الشعر : جمع شعير .

(٢) الهدان : الضعيف الجبان .

كرره فقال :

تود البقاء النفس من خيفة الردى      وطول بقاء المرء سَمٌ مُجَرَّبٌ

\*\*\*

وقوله :

وافقتهم في اختلاف من زمانكم      والبدر في الوهن مثل البدر في السحر

كرره فقال :

وما البدر إلا واحد غير أنه      يغيب ويأتى بالضياء المجدد  
فلا تحسب الأتقار خلقاً كثيرة      فجعلتها من نير متردد

\*\*\*

وقوله في رثاء أمه :

مضت وقد اكتملت نخلت أنى      رضيع ما بلغت مدى الفطام

وكرره في رثائها أيضاً فقال :

دعا الله أمّا ليت أنى أمامها      دُعيتُ ولو أن الهواجر آصال  
مضت وكأني مرّضعت وقد ارتقت      بي السن حتى شكل فودى أشكال

## فصل فى سرقاته

هذا باب لم أقف عليه مجموعا ، فيسهل على تناوله ، واستيفاء الكلام فيه ؛ وإنما أذكر منه ما اتفق لى العشور عليه فى كتب الأدب عند كتابة هذه النبذة ، أو استخرجه الخاطر السكليل أثناء مطالعة ديوانه . وأبدأ بآخذه من أبى تمام والبحتري وأبى الطيب المتنبى ، ثم أذكر ما آخذه من غيرهم من غير ترتيب . فمن ذلك قول أبى تمام :

والحظَّ يُعطاه غيرُ طالبه      ويُحرِّزُ الدرَّ غيرُ محْتَلِبه  
تلك بنات الخاض راتعة      والعودُ فى كوره وفى قَتِبه

أخذه أبو العلاء وأخرجته فى بيت واحد فقال :

هو الحظَّ عَيْرُ الوحش يستاف أنفه      خَزَامِي وَأَنْفُ الْعُودِ بِالْعُودِ يُخْزَمُ

\*\*\*

وقال أبو تمام :

ثم انقضت تلك السنون وأهلها      فكأنها وكأنهم أحلام  
أخذه أبو العلاء وزاد عليه ، فقال :

فأضحوا حديثا كالمنام وما انقضى      فسيان منه يقظة ومنام

\*\*\*

وقال أبو عبادة البحتري :

أخجلتني بئدى يديك فسودت      ما بيننا تلك اليد البيضاء  
وقطعتني بالوصل حتى إننى      متخوف ألا يكون لقاء

أخذها أبو العلاء وضمن معناها فى صدر بيته ، فقال وأجاد :

لو اختصرتم من الإحسان زرتكم      والعذب يهجر للإفراط فى الخصر

وهذا البيت من معجزاته ، إلا أنه أوردته في غزل القصيدة ، وكان مديحها  
أولى به .

\*\*\*

وقال البحتري :

نشوان يطرب للسؤال كأنما غناه مالك طيِّءٌ أو معبد  
أخذه أبو العلاء وزاد فيه زيادة لا تخفى على الأديب ، فقال :  
فما ناح قرئ ولاهب عاصف من الريح إلا خاله صوت سائل  
فالبحتري جعل ممدوحه يطرب لصوت السائل ، طرب المنتشى من المغنى  
الجيد ، وأبو العلاء جعله كلما سمع صوتاً من تطريب حمام ، أو إزعاج أرواح ؛ خاله  
صوت سائل ، لمزيد اعتنائه بالسؤال ، وولعه بالنوال .

\*\*\*

وقال أبو الطيب المتنبي في وصف فرس :

وأصرع أى الوحش قميئته به وأنزل عنه مثله حين أركب  
أخذه أبو العلاء فقال :

أصيل الجَدِّ سابقه تراه على الأئني المكرر مستريحاً

\*\*\*

وقال أبو الطيب :

يقولون تأثير الكواكب في الورى فما باله تأثيره في الكواكب  
أخذه أبو العلاء ، فقال :

من قال إن النِّيرَات عوامل فبيضد ذلك في علاك يقول  
يعملان فيما دونهن بزعمه ولهن دونك مطلع وأفول

قال شارحه أبو يعقوب النحوى : وقول أبي العلاء أرفع ؛ لأنه جعل الممدوح فوق النجوم . انتهى .

وأقول أنا : إن أبا العلاء إنما شرح المعنى ووضحه ، فبين أن علة عدم تأثير الكواكب في ممدوحه علوه عنها ، وهذا مستفاد من قول المتنبي :

\* \* \* فما باله تأثيره في الكواكب \*

لأن المؤثر في العادة أعلى وأقوى من المؤثر فيه ، ففيه معنى بيتي المعرى وزيادة .

\* \* \*

وقال أبو الطيب :

نحن بنو الموتى فما بالنا نعا ف ما لا بُدَّ من شربه  
أخذه أبو العلاء فقال :

ما رغبة الحى بأبنائه عما جنى الموت على جدّه

\* \* \*

وقال أبو الطيب :

وأنا الذى اجتلب المنية طرفه فَمَنْ المطالبُ والقَتيلُ القاتلُ  
أخذه أبو العلاء فقال :

وأفة العاشق فى طرفه وأفة الصارم من حدّه

وكلا البيتين فيه زيادة عن الآخر لا تخفى .

\* \* \*

وقال أبو الطيب :

تمر بك الأبطال كلمى هزيمةً ووجهك وضاح وثورك باسم  
أخذه أبو العلاء ، فقال :

يتهللون طلاقةً وكلومهم ينهلُ منهم النجمُ الأحمرُ



وبيته أبلغ في المدح ، لأن غاية المتنبي أن وصف ممدوحه بتهلله عند هزيمة جيشه ، احتقاراً للأخطار . والمعرى جعل ممدوحيه يتهللون وهم مصابون يقطر منهم الدم .

\*\*\*

وقال أبو الطيب :

يموت راعي الضأن في جهله      مِيتة جالينوسَ في طبه  
وربما زاد على عمره      وزاد في الأمن على سره  
أخذه أبو العلاء ، فقال :

رددت إلى ملك الخلق أمرى      فلم أسأل متى يقع الكسوف  
فكم سلم الجهول من المنايا      وعوجل بالحمام الفيلسوف

\*\*\*

وقال أبو الطيب :

في رتبة حجب الورى عن نيلها      وعلا فسؤوه على الحاجبا  
أخذه أبو العلاء فقال :

وقد ستم سئده علماً      وذلك من علو القدر قال  
وفي بيت المتنبي زيادة ساعد عليها لقب ممدوحه .

\*\*\*

وقال أبو الطيب أيضاً :

أتى الزمان بنوه في شبيبته      فسرهم وأتيناه على الهرم  
أخذه أبو العلاء فقال :

تمتع أبكار الزمان بأيدِهِ<sup>(١)</sup>      وجئنا بوهن بعد ما خرف الدهر

\*\*\*

وقال أبو الطيب :

وقد يتدرب أنوعه لمن جدا وموصوفاتها متباعدان  
أخذم أبو العلاء ، فقال :

قد يبعد الشيء من شيء يشابهه . إن السماء نظير الماء في الزرق

\*\*\*

وقال أبو الطيب :

وإذا حنيت عن لحي فاعبر  
أخذم أبو العلاء ، فقال :

وكم عيّن تؤمل أن تراني وتعتقد عند رؤيتي السوادا  
يريد : إذا رأتني حنيت عني ، فكأنها عييت ، وفقدت سوادها .

\*\*\*

وقال حمارة بن عقيل :

وما النفس إلا نطفة<sup>(١)</sup> في قرارة  
أخذم أبو العلاء ، فقال :

واخل كلنا يدي في ضمائرهم مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

\*\*\*

وقال النابغة الذبياني في النعمان :

يا لك شمس ولوك كواكب إذا ظلمت لم يد منها كواكب  
أخذم أبو العلاء ، فقال في قصص نزلته عمرو بن عمرو ، فخرج من كان فيه

من حاشيته :

(١) النطفة باضم : الماء لصفى نل أو كثر .

كان كالأفق حين همت به الشمس      س      تنادت نجومه بالسير

\*\*\*

وقال عدي بن الرعاء :

ليس من مات فاستراح بميت  
إنما الميت ميت الأحياء  
ألم به أبو العلاء فقال :

سالم أعدائك مستسلم  
والعيش موت لهم مرغم

\*\*\*

وقالت ليلى أخت الوليد بن طريف ترثيه :

أيا شجر الخابور مالك مورقا      كأنك لم تجزع على ابن طريف  
أخذه أبو العلاء وتصرف فيه ، فقال :

وما كنت أدري أن مثلك يشكى      ولم يتغير للرياح نسيم

\*\*\*

وقال عبيد بن الأبرص يصف السحاب :

كأن أقربه لما علا شطبا<sup>(١)</sup>      أقرب أبلق يبغي الخيل رماح  
أخذه أبو العلاء فقال :

سرت لها ترمح أفلاها      في الجو بلى عربيات

ذكروا أنهم يصفون السحاب بالبلق ، لما فيها من لتمع البروق ؛ وهو قول حسن . والأقرب عندي أنهم يصفونها بذلك ، لأن فيها ما هو رقيق ، وما هو كثيف ، وما هو متقطع ؛ فيخيل لناظرها أنها بقاء .

\*\*\*

---

(١) الأقرب : جمع قرب بالضم أو بضمين ، وهو الحاصرة . وشطب : جبل معروف .

وقال الحطيئة :

يرى البخل لا يُبني على المرء ماله      ويعلم أن المرء غير مخلص  
أخذه أبو العلاء فقال :

إذا أوتيت مالا فابذله      فما يُبقيه توفير وخزن

\*\*\*

وقال الأفوه الأودي :

وقدور كالوفا راكدة      وجفان كالجوابي مُترعة  
أغار عليه أبو العلاء فقال :

وقدورهم مثل المضاب رواكداً      وجفانهم كرحيبة الأفياف<sup>(١)</sup>

\*\*\*

وقال كثير عزة :

وكنت كذات الظلم لما تحاملت      على ظلمها بعد العثار استقلت  
أخذه أبو العلاء فقال :

أودعكم يا أهل بغداد والحشا      على زفرات ما بينين من اللذع  
قداع ضن<sup>(٢)</sup> لم يستقل وإنما      تحامل من بعد العثار على ظلم

\*\*\*

وقال امرؤ القيس :

وقد اغتدى والطير في وكناتها      بمنجرد قيد الأوابد هيكلا  
أخذه أبو العلاء ، وغلا بأن جعله قيداً للريح ، فقال :

---

(١) الأفياف : جمع فيف ، وهي البرية الواسعة .

(٢) ضن كرضى ، فهو ضنى وضن : مرض .

وخيلاً لو جرت والريح شأواً      ظننا الريح أو ثقها إسارُ

\*\*\*

وقال أبو فراس الحمداني :

ونحن أناس لا توسط بيننا      لنا الصدر دون العالمين أو القبر  
أخذه أبو العلاء ، فقال :

وأصبح واحد الرجلين إما      مليكا في المعاشر أو أبيعاً

\*\*\*

ل بديع الزمان الهمداني :

وكاد يحكيك صوب الغيث منسكبا      لو كان طلق الحيا يطر الذهبا  
والدهر لو لم يتخن والشمس لو نطقت      والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا  
أخذ أبو العلاء نصف شطر منه ، وقصر أى تقصير ، فقال :  
إذا قيل بحر فهو ملح مكدر . وأنت نمير الجود عذب الشائل

\*\*\*

وقال أبو حية النيرى :

ولما أبت إلا التواء بودها      وتكديرها الشرب الذى كان صافيا  
شربنا برنق<sup>(١)</sup> من هواها مكدر      وكيف يعاف الرنق من كان صاديا  
والبيتان فى غاية الحسن ، إلا أن أبا العلاء ضمن معناهما فى بيت ، فقال :  
ولما أن تجهنى مرادى      جريت مع الزمان كما أرادا

\*\*\*

وقال أبو الشيص :

أجد الملامة فى هواك لذيذة      طمعاً لذكرك ، فليلى اللوم

---

(١) الرنق والريق : السكر .

أخذه أبو العلاء فقال :

لم يبق غير العذل من أسبابهم فأحبُّ من يدنو إلى عذول

\*\*\*

وقال أبو الشمقمق في حُرَّاقَة<sup>(١)</sup> طاهر بن الحسين :

عجبت للحراقه ابن الحسين كيف تعوم ولا تفرق

وبحران من تحتها واحد وآخر من فوقها مطبق

وأعجب من ذاك عيدانها وقد مَسَّها كيف لا تورق

أخذ أبو العلاء البيت الثالث ، وزاد فيه بأن بينَ علَّةَ عدم إوراق العود.

وأحسن التعليل ، فقال :

من كلِّ مَنْ لولا تسقر بأسه لاخضرَ في يميني يديه الأثمرُ

\*\*\*

وقال آخر في الحمام ، وينسب للمنازى :

شجى قلب الخلى فقليل غنى وبرَّح بالشجى فقليل ناحا

قصر أبو العلاء في أخذه فقال :

فقلت تغنى كيف شئت فإنما غناؤك عندي يا حمامة إغوال

\*\*\*

وقالت ولادة بنت المستكفي :

ترقب إذا جنَّ الظلام زيارتي فإني رأيت الليل أكنمَ لاسير

وبى منك ما لو كان بالشمس لم تلُخ وبالبدر لم يطلُع وبالنجم لم يسر

وقال أبو العلاء :

منك الصدود ومنى بالصدود رضا من ذا على بهذا في هواك قفى

---

(١) الحراقه : سفينة فيها صراعى نيران ، يرمى بها العدو .

بي منك ما لو غدا بالشمس ما طلعت من الكآبة أو بالبرق ما ومّضاً  
ولم أدر أيهما أخذ من الآخر ، لاجتماعهما في عصر واحد ، ولا يبعد أن يكون  
من التوارد ، إلا أن قول ولادة أبلغ !

\*\*\*

أما قول أبي العلاء :

منى إليك مع الرياح تحية مشفوعة ومع الوميض رسول  
فلا يعد من السرقة في شيء ، وإن سبقه غيره إليه ؛ لأن إرسال التحية مع  
النسيم أو البرق من المعاني الشائعة التي تداولتها الشعراء ، ولم تزل تتداولها .  
وإنما يظهر التفاضل بينهم فيها بحسن سبكها وإبرازها في اللفظ المقبول ، والتلطف  
في تصويرها . ولهذا تركت التنبيه عما وقع في شعره منها ، كما أني لم أتعرض لما  
خفي ودق من سرقاته ؛ لئلا يمر ناظر عليه من غير تثبيت فينكره ، ويرميني  
بالخطأ أو التحامل .

\*\*\*

واعلم أن ما ذكرناه عن المعرى في هذا الباب قلما يخلو منه شاعر قديم  
أو حديث ، ولسنا بواصلين فيه إلى حد الجزم بأنه تعمد سرقة ؛ إذ قد يعرض  
المعنى للشاعر فينظمه ، ولا يمر بخاطره وقت نظمه أنه مسبوق به ، وربما كان  
مما لم يقف عليه في شعر غيره . وباب التوارد واسع ، كما وقع لطرفة بن العبد  
وامرئ القيس في قوله :

وَقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَى مَطِيئِهِمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَمَّلِ  
فأتى به طرفة في معلقته مغيراً لقافيته فقط ، فقال : ( وَتَجَلَّلِ ) بدل ( وَتَجَمَّلِ ) ،  
جوئبت عند الرواة أنه لم يطلع عليه قبل ذلك . وقال علي بن منصور الحلبي المعروف

بابن القارح<sup>(١)</sup> : « كان محمد بن وكيع متأدباً ظريفاً ، ويقول الشعر ، وعمل كتاباً في سرقات المتنبي ، وحاف عليه كثيراً . وسألني يوماً أن أخرج معه ، واستصحب مُغَنِّيًا وأمره ألا يغني إلا بشعره ، فغني :

لو كان كلَّ عليل يزداد مثلك حُسْنًا  
! كان كلَّ صحيح يودُّ لو كان مُضَيَّ  
يا أكل الناس حسنا صِلْ أكل الناس حُزْنا  
غَنَيْت غني ومالي وجه به عنك أغني

فقلت : أتثقل عليك المؤاخذة ؟ فقال : لا . فقلت : أبيتلك مسروقة ؛  
الأول من قول بعضهم :

ولو كان لربص يزبد حسنا كما تزدد أنت على السقام  
لما عيّد المريض إذا وُعِدَتْ شكايته من النعم الحسام

والثاني من قول رؤبة :

مَسْلَمٌ<sup>(٢)</sup> لا أنساك ما حَيَّيتُ لو أَشْرَبُ السُّلُوَان ما سَلَيْتُ  
\* مالي غني عنك ولو غَنَيْتُ<sup>(٣)</sup> \*

فقال : والله ما سمعت بهذا ، فقلت : إذا كان الأمر على هذا ، فاعذر المتنبي على مثله ، ولا تبادر إلى الخط عليه ، ولا المؤاخذة له ؛ والمعاني يستدعي بعضها بعضها . انتهى .

(١) ابن القارح هذا هو الذي أرسل برساته المشهورة لأبي العلاء المعري ، فأجاب عليه  
أبو الففران .

(٢) يخاطب مسلمة بن عبد الملك .

(٣) رواية ديوان رؤبة : ( ما بي غني عنك وإن غنيت ) .



ولا بد لنا قبل ختم هذا الباب من ذكر نوع يعده كثيرون من السرقة وليس منها ، كقول الطغرائي :

وذى شَطَاط كصدر الرمح معتقل      بمثله غير هَيَّابٍ ولا وَكَلٍ

وقول الحريري في مقامته الرابعة والأربعين من قصيدة بائية :

وذا شَطَاط كصدر الرمح معتقل      صادفته بمنى يشكو من الحَدَبِ

قال الصدي : « ومثل هذا لا يعد سرقة ؛ لأن المعنى ليس ببديع ، ولا لفظه

بفطيم<sup>(١)</sup> ، ولا الطغرائي بعاجز عن الإتيان بمثله ، بل جرى على لسانه ، ونسى أن هذا رِغِيرُهُ ؛ لعدم الاحتفال بأمره إذ هو ليس بأمر كبير ، وهذا كثير الوقوع للناس ، لا يكاد يسلم الفحول منه . » . انتهى كلامه .

وقال التنوخي في زهر الربيع : « ومما يعد سرقة وليس بها ، اشتراك اللفظ

المتعارف ، كقول عنتره :

وخيلٍ قد دلفتُ لها بخيل      عليها الأسد تهتمصرا هتصارا

وقالت الخنساء :

وخيلٍ قد دلفتُ لها بخيل      فدارت بين كبشها راحاها »

انتهى .

قلت : وتحقيق المقام أن الكلام المأخوذ يشترط فيه ألا يكون ذا معنى كبير

أو لفظ بالغ حدا ما من الرشاقة ، فإذا أدبجه الشاعر في بيته جاء به غير مقصود

لذاته ، بل يجعله كالتوطئة لمعنى آخر مقصود له ، يبنى البيت عليه . ويظهر لك ذلك

فما استشهد به الصدي والتنوخي ، وهو كثير في شعر العرب والمحدثين ، وقد

وقعت منه على جملة صالحة ، لو جمعت لجاءت رسالة لطيفة ، كقول الراعي النميري :

فتى يشتري حسن الثناء بماله إذا ما اشترى الخزاة بالمجد بهس  
وهو مثل قول الأبيرد<sup>١</sup> :

فتى يشتري حسن الثناء بماله إذا السنة الشهباء<sup>(١)</sup> أعوزها القطر  
وتبعهما أبو نواس فقال :

فتى يشتري حسن الثناء بماله ويعلم أن الدائرات تدور  
وقول دريد بن الصّمة :

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشداً إلا ضجى الغد  
وهو مثل قول المتلمس :

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى ولا أمر المعصيّ إلا مضّيع  
وفى هذا القدر كفاية . والكلام فى السرقات الشعرية وأنواعها ، واستيعاب  
ما قيل فيها ، لا يتسع له مثل هذا المختصر ؛ فإذا منّ الله بتوفيقه ، وكان فى العمر  
مهلة ، وضعنا فيها رسالة تستقل بجمع شتاتها ، وتفصيل ما أجمل منها .

ومن غريب ما وقفت عليه من ملاحظاتهم ، ما رواه على بن العباس  
النوبختي ، قال : قال لى البحتري : أتدرى من أين أخذ الحسن<sup>(٢)</sup> قوله :

ولم أدر من هم غير ما شهدت به بشرق ساباط الديار البسابس  
عمت : لا ، فقال : من قول أبي خراش :

ولم أدر من ألقى عليه رداءه ولكنّه قد سئل عن ماجدٍ مخضٍ  
فقلت : المعنى يختلف ، فقال : إنا نرى حذو الكلام واحداً وإن اختلف

المعنى . انتهى .

(١) السنة الشهباء : الكثيرة الثلج الجدية ، والشهباء أمثل من البيضاء ، والحراء أشد  
من البيضاء . وسنة غبراء : لا مطر فيها .  
(٢) الحسن هو أبو نواس .

قلت : إذا كان مراد البحتري مجرد البيان ، فقد لاحظ ملاحظة دقيقة ،  
وإذا كان قصده الخط من أبي نواس والنعمى عليه ، فقد لعمري ركب متن  
عشواء ، وتخبط في ظلماء ؛ فإن احتذاء كلام العرب مطلوب في البلاغة ، وما  
حث العلماء على إكثار النظر في أشعارها واستظهارها إلا توصلا إلى ذلك .  
ولولا محاولته ما صبرنا على الغدائر المستشزرات ، والقنو المتعشکل ؛ بل لو لم  
يصقل البحتري شعره بقلك المسحة العربية ، ما كانت له الديباجة الغريبة التي  
انفرد بها بين معاصريه ، وبذَّ بها أهل طبقة . والله أعلم .

## فصل فى مأخذ الشعراء من شعره

القول فى هذا الباب كالقول فى سابقه ؛ فلهذا تقتصر على ذكر ما حضر منه ، دون استيعاب سائره . فمعه قول أبى العلاء :

لا تطأبن بألة لك رفعة      قلم البليغ بغير حظٍ مغزَلُ  
ممكن السماء كان السماء كلالها      هذا له ربح وهذا أعزل  
أخذه أبو إسحق الغزى ، فقال :  
والحسن والقبح قد تحويهما صفة      شأن البياض وزان الشيب ولشئنا  
ظُبنا المُخارَفِ<sup>(١)</sup> أقلام مكسرة      رءوسهن وأقلام السعيد ظُبنا

\*\*\*

وقال أبو العلاء يصف خيلا :

ولما لم يسابقهن شيء      من الحيوان سابقن الظلالا  
أخذه ابن حمدى فقال وأجاد :  
ويكاد يخرج سرعة من ظله      لو كان يرغب فى فراق رفيق

\*\*\*

وقال أبو العلاء :

إذا اشتاقت الخيل المناهل أعرضت      عن الماء فاشتاقت إليها المناهل  
أخذه الطغرائى فقال :

ونفس بأعقاب الأمور بصيرة      هنا من طلائع الغيب حاد وقائد  
وتأنف أن يشفى الزلال غليلها      إذا هى لم تشتق إليها الموارد

\*\*\*

---

(١) يقال رجل مخارِف بالمعجمة ومخارِف بالمهملة وبفتح الراء فيهما ، أى محدود ممنوع .

وقال أبو العلاء :

وما ازدهيت وأثواب الصبا جُددُ فكيف أزهى بثوب من صبا خلق  
أخذه الطغرائي أيضاً فقال :

لم أرتض العيش والأيام مقبلة فكيف أرضى وقد ولت على عجل

\*\*\*

وقال أبو العلاء :

وافقتهم في اختلاف من زمانكم والبدر في الوهن مثل البدر في السحر  
أخذه الطغرائي فقال :

مجدى أخيراً ومجدى أولاً شرع والشمس راد الضحى كالشمس في الطفل

قال الصفدي : ولكن قول المعري ألطف عبارة ، وأحسن شارة وإشارة ؛

لأن الطغرائي أغرب في لفظي راد والطفل ، وعذوبة الألفاظ أمر مهم في البلاغة .

انتهى . وقد ناقشه بدر الدين الدماميني في « نزول الغيث » بما لا يخلو إيراد من

فائدة ، ونص عبارته : « أقول : الإغراب في اللفظ ، هو الإتيان به غريباً ، وقد

نص بعض الأئمة على أن الغرابة كون الكلمة وحشية غير ظاهرة المعنى ، ولا مأنوسة

الاستعمال ؛ فمنه ما يحتاج في معرفته إلى أن يذكر ويبحث عنه في كتب اللغة

المبسوطة ، ثم الغريب منه حسن ، وهو الذي لا يعاب استعماله عند العرب ؛ لأنه

لم يكن وحشياً عندهم ، مثل اشمخره واقطر ، ومنه قبيح يعاب استعماله مطلقاً ،

ويسمى الوحشى الخليط ؛ وهو أن يكون ، مع كونه غريب الاستعمال ، ثقيلاً على

السمع ، كريهاً في الذوق ، ويسمى المتوعر أيضاً ، مثل اطلعنم الأمر . وعلى كل تقدير

فلا نسلم أن راد والطفل من الغرابة في شيء ، كما ادعاه الصفدي . وفي قوله : وعذوبة

الألفاظ أمر مهم في البلاغة ، قرينة دالة على أنه أراد أن الراد والطفل من الغريب

المستكره في الذوق ؛ المسمى « متوعر » وخاطبنا ذلك خطأ نشأ من سوء الذوق ،

وعدم المعرفة بكلام القوم ، والإعراض عن التدبر لاصطلاحهم » . انتهى كلامه .

\*\*\*

وقال أبو العلاء :

وأغدو ولو أن الصباح صوارم وأسرى ولو أن الظلام جحافل  
أخذه عفيف الدين التلمساني فقال :

أسير ولو أن الصباح مواكب وأسرى ولو أن الظلام قسام

\*\*\*

وقال أبو العلاء في سيف :

ودبت فوقه حُر المنايا ولكن بعد ما مُسخت نمالا  
أخذه الوزير أبو محمد عبد الغفور فقال :

تريه المنايا الحمر فيه وجوهنا مائلة الأرواح في خِلقة الذرِّ

\*\*\*

وقال أبو العلاء :

والنجم آستصر الأبصار رؤيته والذنب للطرف لا للنجم في الصغر  
أخذه التهامي فقال :

لم أخفَ إلا لعلو وإنما تُخطي الشَّهالعه الأبصارُ

\*\*\*

وقال أبو العلاء :

وفضل الشمس في الأيام باق وإن مدّت من الكبر اللُّعابا  
أخذه ابن سناء الملك : فقال من قصيدة يهجو بها الشمس :

أنت عجوز لم تهرجت لي وقد بدا منك لعاب يسيل

\*\*\*

وقال أبو العلاء :

خفف الوطاء ما أظن أديم الأَرْض إلا من هذه الأجساد

أخذه مهيأر الديلمي فقال :

رويدا بأخفاف المطى فإنما تداس جباه في الثرى وخذود

\*\*\*

وقال أبو العلاء فأجاد :

الموقدون بنجد نار بادية لا يحضرون وقد العز في الحضر  
إذا همى القطر شبتها عبيدهم تحت الغائم للسايرين بالقطر  
أى إذا أطفأ المطر نارهم شبتها عبيدهم بالقطر ، وهو العود ليهتدى السارى  
برأئحته . قال الصفدى : وعليه اعتمد ابن عباد في قوله ، على أنه ما فارق المعنى ،  
ولا خالف المعنى ؛ وهو :

المكثيرين من الكباء<sup>(١)</sup> بنارهم لا يوقدون بغيره للسايرى

\*\*\*

وقال أبو العلاء :

سألن فقلت مقصدنا سعيد فكان اسم الأمير لهن فالأ  
أخذه عصرينا سليم رحى بك رحمه الله ، فقال فى محمد شريف باشا وزير مصر :  
يقول القوم مطلبكم عزيز فقلت نعم ومقصدنا شريف

\*\*\*

وقال أبو العلاء :

تحية كسرى فى السناء وتبع لربك لا أرضى تحية أربع  
أخذه أحمد شوقى بك ، فقال فى مدح السلطان عبد الحميد :  
سلام الله لا أرضى سلامى فكل تحية دون المقام

---

(١) الكباء ككساء : عود البخور ، أو ضرب منه .

## فصل فى مقارنة بعض معانيه بمعانى غيره

قال أبو العلاء :

جهلٌ بمثلِكَ أن يزور بلادنا      يختمال بين أساور وخلاخل  
أو ما رأيت الليل يلقى شهبه      حتى يجاوزها بحلة عاطل

وقال الوزير ابن زيدون :

قعيدك أنى زرت نورك واضح      وعطرك نمام وحليكَ مرجف  
هبيكَ اعتررت<sup>(١)</sup> الحى واشيك هاجع      وفرعك غريب وليك أغضف<sup>(٢)</sup>  
فكيف اعتسفت الهول خطوك مدمج      وردفك رجراج وخصرك مُحْطَفٌ<sup>(٣)</sup>

أقول : مدار المعنى فى الشعرين على التعجب من مخاطرة هذه المعشوقة فى زيارة صاحبها . فتناوله كلا الشاعرين ، وتلاعب به ، فأبرزه فى الصورة التى شاء له اقتداره إبرازه فيها ؛ وقد أجاد كل منهما فيما حاوله ، وتساويا فى الإحسان ، فلا أرى للترجيح مدخلا بينهما . ويلوح لى أن كليهما اعتمد فى توليد معناه على قول أبى الطيب :

قلق المليحة وهى مسك هتكها      ومسيرها بالليل وهى ذُكاء  
ولا يظهر ما قلته إلا بزيادة التدقيق ، وإطالة التأمل .

\*\*\*

وقال أبو العلاء :

آلَى أميرك لا يسرى الخيال لنا      إذا جمعنا فقد أسرى وما علماً  
وكم تَمَنَّتْ رجال فيك مُغْضَبَةٌ      أن يبصروه فلم يظهر لهم سَقَمًا

(١) المتر : الزائر .

(٢) الأغضف : المظلم .

(٣) المحطف : المنطوى .



وقال ماني الموسوس وقد سأله محمد بن طاهر إجازة قول الشاعر :  
حجبوها عن الرياح لأنى قلت ياريح بلّغيتها السلاما  
لورضوا بالحجاب كان ولكن منعوها يوم الرياح الكلاما  
فقال :

فتنفست ثم قلت لطيفي وَيَكْ لو زرت طيفها إماما  
حيّتها بالسلام سرًّا وإلا منعوها لشقوتي أن تناما  
أقول : خلاصة المعنى المبالغة في الحجر عليها . فادعى أبو العلاء أن وليَّ  
أمرها بالغ في حجبها ، حتى حلف على خيالها ألا يزور حبيبها ، ولكن الخيال  
غافله وزاره ، ولضناه في حبه نحل ، تخفى على مَنْ يترصد رؤيته . وقصّر ماني فلم  
تصل يده إلى الخيال . وبيتاه على ما فيهما من حسن التخيل وعذوبة الألفاظ  
ينحطّان عن بيتي أبي العلاء .

\*\*\*

وقال أبو العلاء :  
ذكرت بها قِطْعاً من الليل وافياً . مضى كمضى السهم أقصّر من قِطْعٍ  
وقال آخر :

ظلّنا عند دار أبي نعيم بيوم مثل سافرة الذباب  
وقال آخر :

ويوم كإبهم القطاة مزيّن إلى صباه غالب لي ياطله  
فأبو العلاء شبه الليل في قصره بالقِطْع ، وهو النصل الصغير . والثاني شبه  
يومه في قصره بعنق الذباب . والثالث شبهه بإبهم القطاة . قال أبو يعقوب  
النحوى : وهذا أشد مبالغة من قول أبي العلاء ، إلا أنه أغرب في الصنعة ، من  
حيث إنه ذكر قطع الليل وقطع السهم ، جاءلا مضى الليل كمضى السهم . اهـ .

## معتقده

فصل في اختلافهم فيه .

» » معتقده في الله .

» » معتقده في النبوات والرسل .



## فصل في اختلافهم فيه

لم يختلف الناس في رجل اختلافهم في أبي العلاء ، ولا تراوحوا بشخص بين الكفر والإيمان تراوحهم به . فلا غرو إذا قضى مثل هذا التناقض على الباحث في أمره ألا يتلقى كل ما قيل عنه بالقبول ، وأن يجنح إلى مقارنة ما نطق به بما نقل عنه ؛ توصلاً إلى حكم بات فيه ؛ إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر .

وقد تأملت المختلفين فيه ، فوجدتهم على ثلاثة أقسام :

فريق متزندقون ، يُكفّرُونَهُ ويحبّونه لكفره ، ومنهم متفرّنجة هذا العصر ؛ أو مؤمنون يبغضونه لذلك .

وفريق يذهبون إلى صحة إيمانه ، وربما تغالوا فألحقوه بالأولياء الواصلين ، وروّوا له الكرامات .

وآخرون متحيرون أمسكوا عنه ، ووكّلوا أمره خلاقه .

وأنا بادئ بذكر أقوالهم فيه ، ثم معقبها بما ثبت من أقواله ؛ مقسمة إلى فصول ، كما فعلت بأخباره . فأقول :

ذكر غير واحد أنه كان متهماً في دينه ، وأنه اجتاز باللاذقية ونزل ديراً كان به راهب له علم بأقاويل الفلاسفة ، فسمع كلامه ، فحصل له بذلك شكوك . واستدلوا أيضاً على إلحاده بتجافيه عن أكل الحيوان خساً وأربعين سنة ، قالوا : وهذا من اعتقاد الحكماء المتقدمين ؛ لأنهم يرون في ذبح الحيوان تعذيباً له . وسيأتي الكلام على ذلك في فصل مستقل . ونقلوا عن تلميذه أبي زكريا التبريزي أنه قال : قال لي المعري مرة : ما الذي تعتقد ؟ فقلت في نفسي : اليوم أقف على اعتقاده . فقلت له : ما أنا إلا شاكٌّ . فقال : وهكذا شيخك . وقال في حقه

الباخرزى فى دُمِيَّة القصر : « ضرير ماله فى أنواع الأدب ضريب ، ومكفوف فى قميص الفضل ملفوف ، ومحجوب خصمه الألد محجوج . وقد طال فى ظلال الإسلام أناؤه ، واسكن ربما يترشح بالإلحاد إنأؤه ؛ وعندنا خبر بصره ، والله أعلم ببصيرته ، والمطلع على سيرته ؛ وإنما تحدثت الألسن بإساءته ، ككتابه الذى زعموا أنه عارض به القرآن ، وعنوانه بالفصول والغايات ، ومحاذاة السور والآيات ، وأظهر من نفسه تلك الخيانة ، وجذت تلك الهوسات كما يُجذ العَيْرُ الصليانة ، حتى قال فيه القاضى أبو جعفر قصيدة أولها :

كَلْبٌ عَوَى بِمَعْرِةِ النِّعَمَانِ      لَمَّا خَلَا عَنْ رِبْقَةِ الْإِيمَانِ  
أَمْعَرَةَ النِّعَمَانِ مَا أُنْجِبَتْ إِذْ      أَخْرَجْتَ مِنْكَ مَعْرِةَ الْعَمِيَانِ »

انتهى .

وممن حكم بزندقته شمس الدين الذهبى ، وأطال فى ترجمته ، وذكر له فيها قبائح . قال الصفدى : وأظن الحافظ السَّيْفِيَّ قال إنه تاب وأناب . وتحامل عليه أبو الفداء فى تاريخه ، وغضّ منه كثيراً ؛ حتى اضطر ابن الوردى للرد عليه . وفى السكوكب الثاقب أن القاضى المنازى دخل عليه فذكر ما يسمعه من الطعن فيه ، ثم قال : مالى وللناس ، وقد تركت لهم دنياهم ، فقال المنازى : وأخراهم أيضاً ، فقال : يا قاضى ! وأخراهم أيضاً . وجعل يكررها . وفى هذه الرواية تحامل من المؤلف ؛ فقد رواها ابن خلكان فى ترجمة المنازى على أنه قال له : والآخرة أيضاً ، وجعل يكررها ، ويتألم لذلك ، وأطرق ، فلم يكلمه إلى أن قام .

ونقل ياقوت عن رسالة الغفران أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما أجلي أهل الذمة عن جزيرة العرب شق ذلك على الجالين ، فيقال : إن رجلاً من يهود خيبر ، يعرف بسمير بن أدكن ، قال فى ذلك :

يصول أبو حفص علينا بِدِرَّةٍ      رُوِيَ ذَٰكَ ؛ إِنَّ المرءَ يطفو ويرسب  
 كأنك لم تتبع حُجُولَةَ مَاقُطٍ      لتشبع ؛ إن الزاد شيء محجب  
 فلو كان موسى صادقاً ما ظهر ثمُّ      عدينا ؛ ولكن دولة ثم تذهب  
 ونحن سبقناكم إلى المين فاعرفوا      لنا رتبة البادي الذي هو أكذب  
 مشيتم على آثارنا في طريقنا      وبغيتكم في أن تسودوا وترهبوا  
 ثم قال ياقوت : وهذا يشبه أن يكون شعره ، قد نحلله هذا اليهودي ؛ أو أن  
 إirاده لمثل هذا ، واستلذاذه به ، من أمارات سوء عقيدته ، وقبح مذهبه . انتهى .  
 والعجب من ياقوت ، كيف يزعم هذا الزعم ، ومن أين أتى له أن هذه الأبيات  
 من شعره ، أو أنه أوردها استلذاذاً بها ، وهو إنما جاء بها في أثناء كلامه على  
 الزنادقة وتقبيح أعمالهم . وأخر أن يكون إirاده لها في عرض إنكاره عليهم ،  
 من أبين الأدلة على حسن عقيدته . وليست رسالة الغفران ببعيدة على من يريد  
 تحقيق ذلك .

وسئل فتح الدين بن سيد الناس : ما كان رأى الشيخ تقي الدين بن  
 دقيق العيد فيه ، فقال : كان يقول : هو في حيرة . فقال الصفدى : وهذا أحسن  
 ما يقال في أمره ؛ لأن في كلامه تناقضاً كثيراً . وإلى الله ترجع الأمور .  
 هذا ما وقفت عليه من كلامهم في سوء عقيدته ، إلا قليلاً منه سيرد عليك  
 فيما يأتى من الفصول .

ونقلوا عن رسالة ابن العديم أنه قال : إني اعتبرت من ذم أبي العلاء ومن  
 مدحه ، فوجدت كل من ذمه لم يره ولا صحبه ، ووجدت كل من لقيه هو  
 المادح له .

وقال ابن الوردي بعد ما أورد مراسلاته مع القاضي أبي الطيب الطبري التي

مرّ ذكرها في أخباره : « وشهادة أبي الطيب في الشيخ مقدمة على شهادة الغير وحسن الظن خصوصاً بالعلماء قد دل عليه القرآن والحديث ، وهو لا يأتي إلا بخير . وكان شيخنا عيس حسن العقيدة فيه ؛ واعتراف الطبري لمدحه يكفيه .

شهادة الطبريّ الحَبْرِ كافيةٌ أبا العلاء فقل ما شئت أو قدر  
من أغمد السيف عنه كان في دعة ومن نَضَى السيفَ قابله بالطَّبرِ »  
انتهى كلامه . وقوله : قابله بالطبر فيه تورية ، والطَّبرُ هو الطبرزين  
معرب ، ومعناه : فأس السرج ؛ لأن فرسان العجم كانت تحمله معها تقاتل به ،  
ويقال له عندهم التَّبر . كذا ذكر المُحَيِّي في « قصد السبيل ؛ فيما في اللغة العربية  
من الدخيل » .

ونقلوا أيضاً عن رسالة ابن العديم المذكورة أنه قال : قرأت بخط أبي اليسر  
شاكر المعري في ذكره ، وكان رضى الله عنه يرمى من أهل الحسد له بالتعطيل ،  
ويعمل تلاميذه وغيرهم على لسانه الأشعار ، يضمنونها أقاويل الملحدة ؛ قصداً  
لإهلاكه ، وإشاراً لإتلاف نفسه ، فقال رضى الله عنه :

حاول إهوانى قوم فما واجهتهم إلا بإهوان  
وحرشوني بسماياتهم فغيّروا نية إخواني  
لو استطاعوا لوشوا بي إلى السمريخ في الشهب وكيوان  
وقال أيضاً :

غريت بدى أمةً وبمحمد خالقها غريت  
وعبدت ربّي ما استطعت ومن بريته بريت  
وفرتنى الجهال حا سلة على وما فريت

سعروا على فلم أحسن وعندهم أنى هريت  
قال الصفدى : « أما الموضوع على لسانه ، فعمله لا يخفى على من له لب .  
وأما الأشياء التى دوّنها ، وقال بها فى لزوم مالا يلزم ، وفى استغفر واستغفرى ،  
فما فيه حيلة . وهو كثير ، فيه ما فيه من القول بالتعطيل والاستخفاف بالنبوات .  
ويحتمل أنه ارعوى وتاب بعد ذلك كله . وحكى لى عن الشيخ كمال الدين  
ابن الزملى أنى أنه قال فى حقّه : هو جوهرة جاءت إلى الوجود وذهبت » .  
اتهى كلام الصفدى . قلت : أما استغفر واستغفرى فلم أقف عليه ؛ فإن كان  
ما فيه يشبه ما فى لزوم مالا يلزم ، فسيرد عليك ما يزيل الشك فيه .  
وقال ابن الوردى فى تاريخه : « وأنا كنت أتعصب له لكونه من المعرة ،  
ثم وقفت له على كتاب استغفر واستغفرى فأبغضته ، وازددت عنه نفرة ،  
ونظرت له فى كتاب لزوم مالا يلزم ، فرأيت التّبرى منه أحزم ؛ فإن هذين  
الكتابين يدلّان على أنه كان لما نظمهما عالماً حائراً ، ومذبذباً نافراً ، يقرّ فيهما  
أن الحق قد خفى عليه ، ويودّ لو ظفر باليقين فأخذه بكلتا يديه ؛ كما قال فى  
مرثية أبيه :

طلبت يقيناً من جهينة عنهم ولم تخبريني يا جهين سوى الظنّ  
فإن تعهديني لأزال مسائلنا فإنى لم أعط الصحيح فأستغنى  
ثم وقفت له على كتاب « ضوء السقط » الذى أملاه على الشيخ أبى عبد الله  
محمد بن محمد بن عبد الله الأصبهاني ، الذى لازم الشيخ إلى أن مات ، ثم أقام  
بجلب ، يروى عنه كتبه ، فكان هذا الكتاب عندي مصلحاً لفساده ، موضعاً  
لرجوعه إلى الحق وصحة اعتقاده ؛ فإنه كتاب يحكم بصحة إسلامه مؤلاً ، ويتلوم  
وقف عليه بعد كتبه المتقدمة (والآخرة خير لك من الأولى) ؛ فلقد ضمن هذا



الكتاب ما يثلج الصدر ، ويلذ السمع ، ويقر العين ، ويسر القلب ، ويطلق اليد ، ويثبت القدم ؛ من تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم خير بريته ، والتقرب إلى الله بمدايح الأشراف من ذريته ، وتبجيل الصحابة ، والرضا عنهم ، والأدب عند ذكر ما يتعلق منهم ، وإيراد محاسن من التفسير ، والإقرار بالبعث والإشفاق من اليوم العسير ، وتضليل من أنكر المعاد ، والترغيب في أذكار الله والأوراد ، والخضوع للشرعة الحميدة وتعظيمها . وهو خاتمة كتبه ، والأعمال بخواتيمها . وقد يعذر من ذمّه ، واستحل شتمه ، فانه عوّل على مبادئ أمره ، وأوسط شعره ؛ ويعذر من أحبه ، وحرّم سبّه ، فانه اطلع على صلاح سرّه ، وما صار إليه في آخر عمره ؛ من الإنابة التي كان أهلها ، والتوبة التي تجبّ ماقبلها . وكان يقول رحمه الله : أنا شيخ مكذوب عليه . » . انتهى كلامه بنده .

قلت : وليس في لزوم ما لا يلزم ما يصل بالإنسان إلى حد التبري منه ، كما ذكر الشيخ ، والبيتان اللذان رواهما من مرثية أبيه لا يدلان على ما ذهب إليه ، وإنما مراده أن علم الغيب محجوب عنه ، فلا يدري عن أبيه : أهو في شقاء أم نعيم ، وهما مثل قوله من هذه القصيدة :

جَهَلْنَا فلم نَعْلَمْ على الحرص ما الذي يُرَادُ بنا والعلم لله ذى المنّ  
قال شارحه أبو يعقوب النحوي : « وهذا على معنى أن أمر السعادة والشقاوة مطوى عن العباد ، وأن الأمور كلها بمشيئة الله تعالى ، وهي مستورة ؛ ولهذا كره السلف أن يقول القائل : أنا مؤمن حقاً ، بل أنا مؤمن إن شاء الله تعالى ؛ لا على معنى الشك في الإيمان والاعتقاد ، بل على معنى الخوف من سوء العاقبة ، وخفاء علم الله تعالى في ذلك ، وانطواء أمر الخاتمة » . انتهى .

وذكر ابن الوردي في تاريخه أيضاً : أن حسّاده أغروا به وزير حلب ، فجهز

حضاره خمسين فارساً ليقتله ، فأنزلهم أبو العلاء في مجلس له بالمعرة ، فاجتمع  
رعيه إليه ، وتألّموا لذلك ، فقال : إن لي ربا يمنعي ، ثم قال كلاماً منه ما لا يفهم ،  
ال : الضيوف ، الضيوف ! الوزير ، الوزير ! فوقع المجلس على الخمسين فارساً فأتوا ،  
وقع الحمام على الوزير بحلب فمات ؛ فمن الناس من زعم أنه قتلهم بدعائه وتمجده ،  
نهم من زعم أنه قتلهم بسحره ورصده . وهذه القصة رواها صاحب السكوك  
أقرب بزيادة تفصيل ، فذكر عن الغزالي أنه قال حدثني يوسف بن علي بأرض  
ركار ، قال : دخلت معرة النعمان ، وقد وشى وزير محمود بن صالح صاحب حلب  
يه بأن المعري زنديق لا يرى إفساد الصور ، ويزعم أن الرسالة تحصل بصفاء  
مقل ، فأمر محمود بحمله إليه من المعرة ، وبعث خمسين فارساً ليحملوه ، فأنزلهم  
و العلاء دار الضيافة ، فدخل عليه عمه مسلم بن سليمان ، وقال : يا ابن أخي قد  
أت بنا هذه الحادثة ، والمالك محمود يطلبك ، فإن منعناك عجزنا ، وإن أسلمناك  
كان عاراً علينا عند ذوى الذمام ، ويركب تنوخ الذئ والعار ، فقال : هوّن  
لميك يا عمّ ، ولا بأس عليك ؛ فلى سلطان يذب عني . ثم قام فاغتسل وصلى  
في نصف الليل ، ثم قال لعلامه : انظر إلى المريح أين هو ؟ فقال : في منزلة كذا  
كذا . فقال : زنه واضرب تحته وتدا ، وشد في رجلى خيطاً ، واربطه إلى الوتد .  
فعل غلامه ذلك ، فسمعناه وهو يقول : يا قديم الأزل ، يا علة العلل ، يا صانع  
المخلوقات ، وموجد الموجودات ؛ أنا في عزك الذي لا يرام ، وكنفك الذي  
لا يضام ، الضيوف الضيوف ، الوزير الوزير ! ثم ذكر كلمات لا تفهم ، وإذا  
هداة عظيمة ، فسأل عنها ، فقيل : وقعت الدار على الضيوف الذين كانوا بها ،  
فتمتلت الخمسين . وعند طلوع الشمس وقعت بطاقة من حاب على جناح طائر :  
لا تزعجوا الشيخ ، فقد وقع الحمام على الوزير . قال يوسف بن علي : فلما شاهدت

ذلك ، دخلت على المعري فقال : من أين أنت ؟ فقلت : من أرض الهركار ، فقال : زعموا أنني زنديق ، ثم قال : اكتب . وأملى عليّ أبياتاً من قصيدة أولها :  
أستغفر الله في أمني وأوجالي من غفلي وتوالي سوء أعمالي  
ثم ساق صاحب الكوكب الثاقب سبعة أبيات من هذه القصيدة .  
وسأورها بتمامها عند الكلام على منظومه ؛ فإنها من شعره المفقود . وهذه القصة رواها غير واحد ، فلم يذكروا رصده للمريخ كما هنا ، وهو الأشبه بمذهب أبي العلاء ؛ فإن من يقف على كلامه في المنجمين وتقبيح أعمالهم ، يحكم بأن هذا من الموضوع عليه . والله أعلم .

والخلاصة أن الذي ظهر لي من مطالعة مؤلفاته ، أنه لم يكن ملحدًا كما يزعمون ، بل كان مؤمنًا بالله وكتبه ورساله ، وإنما كانت تقع له بعض الأحيان أحوال يضيق بها صدره ، فينفث نفثات يوم ظاهرها ، وكان الأولى به تركها . وهي مهما بلغت من الشناعة والبشاعة لا تصل إلى الكفر والإلحاد ، بل فيها ما إذا قارنته بما قاله في ضده لظهر لك جلياً أنه لم يرد ما سبق إلى ذهنك فيه من أول وهلة ؛ كأنحائه تارة على الديانات ، ومدحه لها تارة أخرى ؛ فإنك لو قابلت بين القوانين بإمعان ، لأقنعت بأنه لم يرد بالذم الديانات نفسها ، بل أراد منتحلها المتاجرين بها ، وكثير ما هم في كل زمن .

وإنما أتى الرجل من جهة حسدته وشائتيه ، وولوع جماعة منهم بتقويله ما لم يقل ، وإشهاره بما كانوا ينظمونه على لسانه من أقوال المعطلة والزنادقة ؛ حتى صارت الأذهان لكثرة ما وقر فيها من ذلك ، إذا ألقى إليها شيء من شعره فيه إيهام ، انصرفت إلى إساءة الظن به . وسيرد عليك من أقواله ما وافق أقوال مشهورى المتصوفة ، وكبار الزهاد ، حذو القذة بالقذة . إلا أنها

ثبت لهم ، وكتبت عليه ، والله في خلقه شؤون . ولهذا اقتصر في فصول  
تقدمه على ما أثبتته في مؤلفاته دون ما روى عنه غير معزو لشيء منها ، وغالبه  
خافات يتنزه شعر أبي العلاء عنها ، ولا يخفى وضعها على ذي لب ، كما قال  
سفي . كنسبتهم إليه قول القائل :

إذا ما ذكرنا آدمًا وفعاله وتزويجه بآتيه لابنيه في الخنا  
علمنا بأن الخلق من نسل فاجر وأن جميع الناس من عنصر الزنا  
وهذا كلام لا يصدر إلا من معتوه فقد رشده ، وحاشا لأبي العلاء أن  
كونه . ولا يخلو قائله من أحد أمرين : إما أن يكون مقرًا بالشرائع ، علما بأن  
واج الأخ بأخته لم يكن محرماً في شريعة سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام ،  
يكون قوله هذا ضرباً من التهديد والهوس . وإما أن يكون منكرًا لها ، فيكون  
كره الزنا لا معنى له ، فإن معرفة الحلال والحرام لا تتأتى إلا من الشرائع .  
ضلا عما في البيتين من بذاءة وقلة أدب تنبؤ عنهما نفس أبي العلاء . ولست  
منكرًا أنه ذكر سيدنا آدم عليه السلام في لزوم مالا يلزم بما كنت أحب له  
بدم ذكره ، إلا أنه لا يبلغ في شناعته إلى هذا الحد ؛ وغاية ما فيه لومه عليه  
السلام على كنه من الشجرة ، وتسببه في أذى ذريته في الدنيا بخروجه من  
الجنة . وسيأتي الكلام على ذلك في فصل مستقل . وقد رد على هذين البيتين  
لقاضي أبو محمد الحسن بن أبي عقامة اليمنى بقوله :

لعمرك أمّا فيك فالقول صادق وتكذب في الباقيين من شطّ أودنا  
كذلك إقرار الفتى لازم له وفي غيره بقو كذا جاء شرعنا  
وليت القاضي تثبت من نسبة البيتين قبل تكلفه الرد بهذا الشعر الركيك .  
ونسبوا إليه أشياء أخرى من هذا القبيل أضربت عن ذكرها تفاديا عن

الاشتغال بالعبث ، إلا أن ألم ببعضها إلما ما يأتي من الفصول لمناسبة . كما  
أنى لم أتعرض لما أخذ عليه فى سقط الزند ؛ لأنه لا يخرج عن كونه من الغلو  
الواقع لكثير من الشعراء ، وقد كفانا مؤونة البحث فيه بقوله فى خطبته :

« وما وجد لى من غلو علق فى الظاهر بآدمى ، وكان مما يحتمله صفات الله  
عن سلطانه ، فهو مصروف إليه ، وما صلح لمخلوق سلف من قبل أو غير أو لم يخلق  
بعد ، فإنه ملحق به ، وما كان محضا فى المين لا جهة له ، فأستقيل الله العثرة فيه »  
وقد أورد شارحه فى التنوير بعض أبيات من ذلك فى شرح الخطبة . ومما  
لم يذكره قوله ، وهو عندى أشنع ما فى سقط الزند :

باهت بمهرةً عدناناً فقلت لها لولا الفصيصى كان الجدى مضر  
فهذا ولا ريب من محض المين الذى لا جهة له ، وقد استقال الله العثرة فيه ،  
والله يغفر لمن يشاء . وما عداه ليس فيه شىء سوى الغلو المفرط . على أنه لم يأت  
به إلا فى أبيات معدودة لا تتجاوز العشرة ، ولكن القليل من هذا كثير . وعندى  
أن لا وجه لاغتفاره لقائله ، وفى غيره من الكلام مندوحة عنه . ولعله سرى  
لأبى العلاء من أبى الطيب المتنبي ؛ فقد كان ولوعا بهذا النوع . ومنه قوله :

لو كان ذو القرنين أعمل رأيه لما أتى الظلمات صرن شموسا  
أو كان صادف رأس عازر سيفه فى يوم معركة لأعيا عيسى  
أو كان لج البحر مثل يمينه ما انشق حتى جاز فيه موسى  
سامح الله أبا الطيب ، ما كان أغناه عن هذا الغلو الممقوت ، مع قدرته على نظم  
ما هو أوقع فى النفوس ، وأخف على الأسماع ؛ وأقبح منه قبول ممدوحه له ،  
وإجازته عليه . ولا أدرى ما كان عذر المعز فى قبوله قول ابن هانى :

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار

اللهم إلا أن يكون ما نقل عن القوم من دعوى الألوهية في الباطن صحيحا .  
وما في سقط الزند دون هذين القولين بمراحل .

وقد رأيت أبا العلاء شدد النكير على ابن هاني وأضرابه في رسالة الغفران ،  
استقبح منهم مثل هذا الغلو ، فلعله رجع عنه .

وقد عقد الثعالبي فصلا في يتيمة لما أخذ على أبي الطيب ، جاء فيه بأشياء  
ممجوجة . ومع هذا فلم يلهجوا بكفاره كما فعلوا مع أبي العلاء ؛ وذلك لما وقر  
في النفوس من شهرته بالزندقة ، كما ذكرت آنفا ، حتى كادوا يلصقون به كل  
شعر من هذا القبيل . وقد رأيت بعضهم يروى له قول المتنبي :

أَغَايَةُ الدِّينِ أَنْ تُحْفُوا شَوَارِبَكُمْ يَا أُمَّةً ضَحَكَتْ مِنْ جَهْلِهَا الْإِمَامُ

هذا وديوان أبي الطيب مشهور متداول في الأيدي ، فما ظنك بغير المشهور ؟  
وكذلك أبو نواس لما كان مشهورا بالإجادة في وصف الخمر ، نسبوا إليه فيها  
ما لم يقله ، فكثير المنحول في شعره . ونقل عن بعض العلماء أنه كان يقول : أوشك  
هؤلاء الرواة أن ينسبوا للمجنون كل شعر فيه ليلى . وقوله هذا ينبغي للأديب أن  
يتنبه له ، فلا يقدم على نسبة قول لقائل بسبب اسم اشتهر به ، ولهج بذكره ، في  
شعره ؛ فقد كان الشعراء أسماء شائعة بينهم خفت على ألسنتهم ، وحات في  
أفواههم ، فكانوا كثيرا ما يأتون بها زورا ، نحو : ليلى ، وهند ، وسلمى ،  
ودعد ، ولبنى ، وعفراء ، وأروى ، وريتا ، وفاطمة ، ومية ، وعلوة ، وعائشة ،  
والرباب ، وجمل ، وزينب ، وأشباههن . ذكر ذلك ابن رشيق ، ثم قال : وأما  
عزة وبثينة فقد حماها كثير وجميل ، حتى كأنما حرمتا على الشعراء . انتهى .

وكما اشتهر بعض الشعراء بأسماء ، اشتهر غيرهم بفنون وأنواع غلبت عليهم ،  
وسهلت على نفوسهم ، فأجادوا القول فيها ؛ كأبي نواس في الخمر ، والبحتري في

الطيف ، وابن المعتز في التشبيهات ، وديك الجن في المرائي ، وأبي الطيب في الأمثال والحكم ، وابن الرومي في الهجاء . بل رأيت بعض شعراء غلبت عليهم ألفاظ استعملوها كثيرا ، كأُم دَفر عند المعري ، وابن ودّي عند الأمير محمود سامي باشا البارودي . ومن تتبع شعر كل شاعر ، ربما لا يعدم أمثالا فيه .  
فيكون اقتصارنا على ما أثبتته أبو العلاء في مؤلفاته ، أدعى إلى الإنصاف ، وأبعد عن الاعتساف .

\*\*\*

واعلم ، أرشدك الله ، أني لم أنتصر له في بعض المواضع جنوحا إلى عصبية ، أو استرسالا مع هوى . ولكني وقفت في الكثير من أقواله على اعتقاد صحيح ، وإيمان ثابت لا يخالطه شك . فكان تأويل ما عداها بما يحتمله اللفظ ، أولى من التسرع إلى إكفار مؤمن ، والحكم عليه بالزندقة ؛ خصوصا وأن ما يدل على إيمانه صريح في لفظه ، والذي يوهم محتمل لوجهين ، فحمله على ما يوافق الصريح من أحد وجهيه أحق وأصوب . فإذا رأيت شيئا من ذلك فلا تتسرع في الإنكار على ، بل عليك بتحسين الظن ، ومراجعة النظر ، تجد ما قلته غير بعيد . وحسبك ما أثاروه على الإمام أبي حامد الغزالي في قوله : ليس في الإيمان أبدا ما كان ، حتى وضعوا فيه المؤلفات ، وشغلوا الناس بالترهات . ولا شك أنه لم يُرد بقوله هذا ما ذهبوا إليه وتأولوه . وأى مسلم يخالجه ريب في عقيدة هذا الإمام ، وهو حجة الإسلام ؟

ولله درّ أبي العلاء حيث يقول :

جَوَارِكْ هَذَا الْعَالَمَ الْيَوْمَ نَكْبَةً      عَلَيْكَ وَلَيْسَ الْبَيِّنُ عَنْهُ مُيَسَّرَا  
سَيَعْلَمُ ذَاكَ الْمُدَّعَى صِحَّةَ الْهُدَى      مَتَى كَانَ حَقٌّ أَئِنَّا كَانَ أَخْسَرَا

ويقول :

لحي الله قوماً إذا جئتهم بصدق الأحاديث قالوا كفّروا

ويقول :

أما في الأرض من رجلٍ أُميِّبٍ فيفرق بين إيمان وكفر

وقال أيضاً :

لا تقيّد الفظي على فإني مثل غيري تكلمني بالهجاز

ومثله قوله :

وليس على الحقائق كلّ قولي ولكن فيه أصناف الهجاز



## فصل في معتقده في الله

من زعم أن أبا العلاء كان من منكرى وجود الإله جل وعلا ، فقد زعم باطلا ، وأسرف في الشطط ، ودلّ على جهله بحقيقة معتقده . وهيهات أن تنهض له حجة ، أو يجد لزعمه مستندا ، لو طال البناء بالدليل .

ونحن مشبتون في هذا الفصل من أقواله ما ليس وراءه متسع لطاعن ، أو مجال لمتقول ، وبادئون منها بثلاثة أقوال ، ربما خفي المراد منها على كثيرين ، فأولوها على غير ما ينبغي أن تؤول ، ثم تتبعها بما يكشف الرين عن عقيدة الرجل في خالقه .

\*\*\*

أولها قوله :

قُلْتُمْ لَنَا صَانِعٌ حَكِيمٌ      قُلْنَا : صَدَقْتُمْ ، كَذَا نَقُولُ  
زَعَمْتُمُوهُ بِسَلَا مَكَانٍ      وَلَا زَمَانٍ إِلَّا فَقُولُوا  
هَذَا كَلَامٌ لَهُ خَبِيٌّ      مَعْنَاهُ لَيْسَتْ لَنَا عُقُولُ

وليس في هذه الأبيات إنكار لوجود الإله ، وحسبك منها قوله : « قلنا صدقتم ، كذا نقول » ، لكن يؤخذ من ظاهرها إثبات الزمان والمكان له تعالى ، وهو ما لا يقول به إلا المجسّمة وأضرابهم ، تنزه الله عما يقولون . وقد ذكر صاحب المعاهد التنصيص أن الفخر الرازي أورد هذه الأبيات في كتابه الموسوم بالأربعين ، وأعقبها بقوله : « وقد هذى هذا في شعره » ، وقد وقفت على نسختين من هذا الكتاب فلم أجده قال ذلك ، فلعل العبارة تحرفت على صاحب المعاهد ، فتوهم

نہا ما ذكرہ . ولما كان المقام يحتاج إلى تفصيل لاستيضاح ما يرمى إليه  
بوالعلاء ، اقتضى أن ننقل إليك عبارة الأربعين ، ثم نعلقها بما ظهر لنا في هذه  
لآيات . قال « الفخر » في مبحث حدوث العالم ، وإيراد شبهات المخالفين وردّها :  
« السؤال الرابع : إذا قلنا كان الله موجودا في الأزل ، وسيكون موجودا  
في الأبد ، فقولنا كان يفيد أن أمرا كان موجودا وحاصلا ، وقد انقضى وما بقي .  
ويكون يفيد أن أمرا سيصير موجودا وحاصلا ، وبعد ما حصل . فإذا كل  
ما يصدق عليه أنه كان وسيكون ، فهو محكوم عليه بكونه متجددا متغيرا ، فذات  
الله تعالى لما كان واجب الدوام ، ممتنع التغير ، وجب أن لا يصدق عليه البتة  
أنه كان في الأزل ، وسيكون في الأبد ، وأنه كائن الآن . ثم لما جربنا عقولنا  
وجدناها حاكمة بأن كل ما لا يصدق عليه أنه كان قبل وسيكون بعد وأنه  
كائن الآن ، فهو عدم محض . وعند هذا قال المنكرون إنكم لما أثبتتم ذاته منزهة  
عن الجهات والأيون والأوضاع ، خرج هذا الإثبات عن العقل ، واقترب من العدم  
المحض ؛ ثم إنكم لما أثبتتموه منزها عن أن يصدق عليه قولنا كان ويكون وهو  
كائن ، فهذا تصريح بالعدم المحض . فإن أدخلتموه تحت قولنا كان ويكون  
وهو كائن ، اقتضى ذلك الحكم بكونه متجددا متغيرا ، فكيف الخلاص من  
العقد الحيرة ، والمضايق المضلة العمية . ونظم المعري هذا المعنى في شعر له  
فقال . . . انتهى .

ثم أورد الأبيات ، إلا أنه روى مكان قوله « زعمتموه » ، « ثم زعمتم »  
وشرع في الرد على هذا السؤال . فقال :

« الجواب عن السؤال الرابع : وهو قوله إن كل ما يصدق عليه كان ويكون  
فهو متجدد متغير ، فنقول : المراد من قولنا كان ويكون استمراره مع الأزمنة

الآتية والأزمنة الماضية ، من غير أن يكون متغيرا بحسب تغير هذه الأزمنة ؛ وهذا المعنى لا يدركه إلا العقل الذى نوره الله تعالى بنور هدايته ، وإن كان الوهم والخيال يعجزان عنه . » . انتهى كلامه .

ثم ساق حجج المشايخ على بقاء الصانع بما يخرج عن قصدنا هنا . ولا يخفى ما فى قوله إن هذا المعنى لا يدركه إلا العقل الذى نوره الله بنور هدايته . فإذا علمت هذا ، ثم علمت أن مذهب السلف رضى الله عنهم فى الصفات النقلية ، كالاستواء على العرش ، والنزول إلى السماء الدنيا ونحوها ، أنها صفات ثابتة وراء العقل ما كلفنا إلا اعتقاد ثبوتها والتصديق بها من غير تفسير ولا تأويل ، مع اعتقاد عدم التجسيم والتشبيه ، لئلا يضاد النقل العقل — ظهر لك أن عبارة أبى العلاء إنما ترمى إلى هذا المعنى ، وتشير إلى هذا القصد ؛ فراده أن مثل هذه الأمور لا تتسع العقول لإدراكها ، بل هى مما استأثر الله بعلمه . وليس فى الآيات ما يمنع من حملها على ذلك . بل كيف يتصور فى الرجل اعتقاد التجسيم ونحوه ، وهو القائل فى موضع آخر :

تَعَالَى اللَّهُ وَهُوَ أَجَلُّ قَدْرًا      مِنْ الْأَخْبَارِ عَنْهُ بِالتَّعَالَى

ومن يذهب فى التنزيه إلى هذا الحد لا يتصور فيه اعتقاد التجسيم . ثم اعلم أن مذهب السلف يرجحه كثيرون من المتكلمين . وكان الإمامان مالك والزهرى يقولان به ، بل هو عقيدة الإمام أحمد بن حنبل وأتباعه إلى يومنا هذا . وإنما رجحوه لما فيه من السلامة من تعيين معنى قد يكون غير مراد له تعالى ، وهو الأوفق لحل العامة عليه ، صيانة لعقولهم عن الزلل ، كما فصله الإمام الغزالى فى « إجماع العوام ، عن علم الكلام » . وقد وقفت على فصل للفخر الرازى فى تفضيل هذا المذهب ، ذكره فى تفسيره الكبير عند قوله تعالى : « ثُمَّ اسْتَوَى

على العرش» ، مع أن هذا الإمام من كبار الأشعرية القائلين بالتأويل .

ولله در الإمام خميس بن علي الواسطي حيث يقول :

تَرَكْتُ مَقَالَاتِ الْكَلَامِ جَمِيعَهَا      لِمُبْتَدِعٍ يَدْعُو بِهِنَّ إِلَى الرَّدَى  
وَلَا زَمْتُ أَصْحَابَ الْحَدِيثِ لِأَنَّهُمْ      دُعَاةٌ إِلَى سُبُلِ الْمَكَارِمِ وَالْهُدَى  
وَهَلْ تَرَكَ الْإِنْسَانُ فِي الدِّينِ غَايَةً      إِذَا قَالَ قَلَدْتُ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا

على أن كثيرا من أئمة الكلام أيضا يرجحون مذهب الخلف في تأويلهم هذه الصفات تأويلا يليق بجلال المولى عز وجل ، لما في هذا المذهب من مزيد الإيضاح والرد على الخصوم . ولكل من أصحاب المذهبين وجهة لا يريدون بها إلا الوصول إلى الحق ، فرضى الله عنهم أجمعين ، وجزاهم عنا أحسن الجزاء .

الثاني من الأقوال : قوله :

أَمَّا الْإِلَهِ فَأَمْرٌ لَسْتُ مُدْرِكُهُ      فَاحْذَرْ لِجِيبِكَ فَوْقَ الْأَرْضِ إِسْخَاطَا  
وليس في هذا أيضا إنكار لوجود الله تعالى ، وإنما فيه الإيماء إلى عجز البشر عن إدراك كنه ذاته تعالى . ولعمري ما نطق إلا بالصواب . وأين للخلق ضعيف لا يصل إلى إدراك كنه نفسه من الوصول إلى هذا المقام ؟ وفي كتاب تأييد الحقيقة العلمية للسيوطي ، قال شارح منازل السائرين في بيان عجز العقول عن إدراك الذات المقدس ، وترك الفكرة في ذلك : « يعرف العبد أن عقله يعجز عن إدراك كل الموجودات من المخلوقات فضلا عن خالقها ، وقد عجزت العقول عن إدراك الخاصية التي يجذب بها المغناطيس الحديد ، والسقمونيا الأخلاط الصفراوية ، إلى غير ذلك ، مع التقطع بوجودها . فإذا عرف العبد عجزه ، وأيس من الوقوف على غاية مطلبه ، حمله ذلك على التمسك بحبل التعظيم والإجلال ، وسلم بذلك من الوقوع في شيء من الاختلال . » . انتهى .

وفيا نقل عن أمير المؤمنين كرم الله وجهه أنه كان يقول : « التوحيد أن لا تتوهمه » ويقول : « كل ما أدركته فهو غيره » . وكان الصديق رضى الله عنه يقول : « يا من غاية معرفته القصور عن معرفته » . أما قوله تعالى : « لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ » ، فالأكثر على حمل البصر هنا على الجارحة ، من حيث إنها محل القوة . وقيل هو إشارة إلى ذلك وإلى الأوهام والأفهام . فالبیت على هذا عقد لمعنى هذه الآية الكريمة . وقريب منه قوله من قطعة أخرى :

وإنَّ إلهي إلهُ السماء      رَبُّ الْوُحُودِ وَرَبُّ النَّبِيِّ  
سَأَلْتُ الْمُحَدَّثَ عَنْ شَأْنِهِ      فَمَا زَالَ يَضَعُفُ حَتَّى أَرْتَبَكَ

\*\*\*

الثالث : قوله :

مَتَى عَرَضَ الْحِجَابُ لِلَّهِ ضَاقَتْ      مَذَاهِبُهُ عَلَيْهِ وَإِنْ عَرَضَتْهُ

ومعناه ظاهر بَيِّن ، يشبه ما فى القول السابق . وقد فسرهم بعضهم بقوله : « أى لا يزال عقل الإنسان يتسع مجاله فى الأمور ، ويستعمل أنواع القياس ؛ حتى ينتهى إلى الله تعالى . فإذا انتهى إليه ضاقت المذاهب عليه ، فلم يعلم أكثر من أنه سبحانه خالق المخلوقات . » . انتهى .

وقد أحسن أبو العلاء فى قوله بعد هذا البيت :

وَقَدْ كَذَبَ الَّذِي يَغْدُو بِعَقْلٍ      لِتَضْحِيحِ الشُّرُوعِ وَقَدْ مَرَضَتْهُ

الشروع : جمع شرع . قال بعض الفضلاء : « مَرَضُ الشرائع أن تخفى أسبابها ، فلا يُوقَفُ على حقائقها ، فيظن الناظر فيها أنها فاسدة ، وإنما الفاسد عقله ، لأنه تعاطى مرًا غامضًا ليقف عليه . » . انتهى .

قلت : فليت المتبحرين كل يوم بإصلاح الدين الإسلامى ليوافق روح العصر كما يزعمون ، ينظرون نظرة فى هذا البيت ، نسأل الله لنا ولهم الهداية .

\*\*\*

وبعد ، فليس فى كلام أبى العلاء ما يوهم نقصا فى حق الخالق سبحانه وتعالى ، فضلا عن إنكار وجوده ، غير هذه الأقوال الثلاثة . وقد عرفت أنها ليست فى شىء من ذلك البتة . فلم يبق إلا أن أسرد لك عيون أقواله الدالة على حسن معتقده فى خالقه . قال :

لِلْعَلِيكَ الْمُدَكَّرَاتُ عَبِيدٌ      وَكَذَلِكَ الْمُؤَنَّثَاتُ إِمَاءُ  
فَالِهَالَالُ الْمُنِيفُ وَالْبَدْرُ وَالْفَرْ      قَدْ وَالصُّبْحُ وَالثَّرَى وَالْمَاءُ  
وَالثَّرِيَّا وَالشَّمْسُ وَالنَّارُ وَالنَّهْ      رَةُ وَالْأَرْضُ وَالضُّحَى وَالسَّمَاءُ  
هَذِهِ كُلُّهَا لِرَبِّكَ مَا عَا      بِكَ فِي قَوْلٍ ذَلِكَ أَلْحُكْمَاءُ  
خَلَنِي يَا أَخِيَّ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ      فَلَمْ يَبْقَ فِيَّ إِلَّا النِّمَاءُ  
وقال :

إِذَا قِيلَ لَكَ أَخْشَ اللَّهَ      مَوْلاكَ فَقُلْ : آرَا

آرَا : كلمة فارسية ، معناها : نعم . وقال :

بِعِلْمِ إلهِي يُوجَدُ الضَّعْفُ شِيمَتِي      فَلَسْتُ مُطِيقًا لِلْغُدُوِّ وَلَا الْمَسَرَى  
غَبَرْتُ أَسِيرًا فِي يَدَيْهِ وَمَنْ يَكُنْ      لَهُ كَرَمٌ تُكْرَمُ بِسَاحَتِهِ الْأَشْرَى  
أَصْبَحُ فِي الدُّنْيَا كَمَا هُوَ عَالِمٌ      وَأَدْخُلُ نَارًا مِثْلَ قَيْصَرَ أَوْ كِنَرَى  
وَلِيَّيْ لَا زَجُو مِنْهُ يَوْمَ تَجَاوَزِ      فَيَأْمُرُنِي ذَاتَ الْيَمِينِ إِلَى الْيُسْرَى  
وَإِنْ أَغْبَ بَعْدَ الْمَوْتِ مِمَّا يَرِيْبُنِي      فَمَا حَظِّي الْأَذْنَى وَلَا يَدِي الْخُسْرَى

اليسرى هنا : من اليسر ضد العسر ، وليست من اليسار ضد اليمين . وقال :

اللَّهُ لَا رَيْبَ فِيهِ وَهُوَ مُحْتَجِبٌ      بَادٍ وَكَلٌّ إِلَى طَبْعٍ لَهُ جَذْبًا  
وقال :

لَا تَكْذِبَنَّ فَإِنْ فَعَلْتَ فَلَا تَقُلْ      كَذِبًا عَلَى رَبِّ السَّمَاءِ تَكْشِبَا  
قَالَ اللَّهُ فَرُدُّ قَادِرٌ مِنْ قَبْلِ أَنْ      تُدْعَى لِآدَمَ صُورَةٌ أَوْ تُحْسَبَا  
وَإِذَا أَنْتَسَبْتَ فَقُلْتُ إِنِّي وَاحِدٌ      مِنْ خَلْقِهِ فَكُنِي بِذَاكَ تَنْسَبَا

وفي معنى البيت الثانى قوله من قطعة أخرى :

مَا زَالَ مُلْكُ اللَّهِ يَظْهَرُ دَائِبًا      إِذْ آدَمُ وَأَبُوهُ فِي الْأَضْمَارِ  
لعله أراد بأبيه : التراب الذى خلق منه ، وفى بعض النسخ : وبنوه ،  
وهو ظاهر .

وقال :

وَلَمْ يَحْبُبْنِي أَحَدٌ نِعْمَةً      وَلَكِنْ مَوْلَى الْمَوَالِي حَبًّا  
نَصَحْتُكَ فَأَعْمَلْ لَهُ دَائِبًا      وَإِنْ جَاءَ مَوْتُ فَقُلْ مَرَّحَبًا

ومن طمعه فى عفو ربه ، قوله :

أَرَى أَشَبَّ مِرَاةَ اللَّيْبِ وَمَنْ يَكُنْ      مَرَانِيهِ الْإِخْوَانُ يُصَدِّقُ وَيُكَذِّبُ  
أَخْشَى عَذَابَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَادِلٌ      وَقَدْ عِشْتُ عَيْشَ الْمُسْتَضَامِ الْعَذِّبِ

ومثله قوله :

وَمَا أَنَا يَا نَيْسٌ مِنْ عَفْوِ رَبِّي      عَلَى مَا كَانَ مِنْ عَمْدٍ وَسَهْوٍ

ومثله قوله أيضاً :

لَمْ لَا أُوْمِّلُ رَحْمَةً مِنْ قَادِرٍ      وَالشُّوْلُ يُطْلَبُ فِي السَّحَابِ الْأَسْوَلِ

وقال يذكر خوفه من العقاب :

طُوبَى لِمَوْدُودَةٍ فِي حَالِ مَوْلِدِهَا  
يَا رَبِّ هَلْ أَنَا بَاغْفُرَانِ فِي ظَعْنِي

وقريب منه قوله :

قَدْ فَتَى الْوَقْتُ مَا حِيلَتِي  
إِنْ خَتَمَ اللَّهُ بِغُفْرَانِهِ

وقال في خوفه وطمعه :

أَبَا الْحَيَاةِ فَلَا أَرْجُو نَوَافِلَهَا  
رَبِّ السَّمَاءِ وَرَبِّ الشَّمْسِ طَالِعَةٍ

ولله دره حيث يقول :

لَيْفَعَلِ الدَّهْرُ مَا يَهْمُ بِهِ  
لَا تَيَاسُ النَّفْسُ مِنْ تَفَضُّلِهِ

وقال :

أَرَى أَنْكِفَاتِي إِلَى الْمَنَابَا  
أُثْبِتُ لِي خَالِقًا حَكِيمًا

وقال :

سُبْحَانَ مَنْ بَرَأَ النُّجُومَ كَأَنَّهَا  
لَوْ شَاءَ رَبُّكَ صَيَّرَ الشَّرَاطِينَ مِنْ  
وَالْتَّاجُ تَقْوَى اللَّهِ لَأَمَّا رَضَعُوا

وقال من أخرى :

فَزِعُوا إِلَى ذِكْرِ الْمَلِكِ وَحَسَبِهِمْ

ظُلْمًا فَلَيْتَ أَبَاهَا أَلْفَظَ مَوْدُودُ  
مُزَوَّدُ إِنَّ قَلْبِي مِنْكَ مُزَوَّدُ

إِذَا انْقَضَ الْإِمْنَالُ وَالْمَهْلُ  
فَكُلُّ مَا لَاقَيْتَهُ سَهْلُ

لَكِنِّي لِإِلَهِي خَائِفُ رَاجِرُ  
وَكُلُّ أَزْهَرِي الظُّلُمَاءِ خَرَّاجِرُ

إِنَّ ظُنُونِي بِخَالِقِي حَسَنَةٌ  
وَلَوْ أَقَامَتْ فِي النَّارِ أَلْفَ سَنَةٍ

أَغْنَى عَنِ الْأُسْرَةِ الْكِفَاةُ  
وَلَسْتُ مِنْ مَعْشَرِ نِفَاةِ

دُرِّ طَفَا مِنْ فَوْقِ بَحْرِ مَا تُجْرِ  
هَذِي أَلَكُوا كِبَ عِنْدَ أَذْنِي تَأْجِرُ  
لِيَكُونَ زِينًا لِلْأَمِيرِ التَّاجِرِ

أُنْسَا بِذَلِكَ فِي الضَّمِيرِ الْوَاحِ



وقال :

أَحَازِرُ السَّيْلِ وَمَنْ لِي بِمَنْدَ جَاءَ إِذَا أَسْمَعَنِي رَعْدَهُ  
وَالْوَقْتُ لَا يَفْتَأُ فِي مَرِّهِ مُقَرَّبًا مِنْ أَجَلِ بَعْدَهُ  
فَرَأَيْتُ الْخَالِقَ بِالْغَيْبِ فِي أَرْقِيقَةٍ وَالنَّيْمَةِ وَالْقَعْدَةَ

أراد الهيئة من القيام والنوم والقيود ، فجاء بها على فعلة بكسر الأول . وهو عقد لمعنى قوله تعالى : « الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ » ومعنى الآية ، والله أعلم : الذين لا يغفلون عنه تعالى في عامة أوقاتهم ، كما ذهب إليه بعض المفسرين .

وقال أبو العلاء :

إِذَا كُنْتَ مِنْ فَرَطِ السَّفَاهِ مُعْطَلًا فَيَا جَاهِدُ أَشْهَدُ أَنَّنِي غَيْرُ مُوَاجِدٍ  
أَخَافُ مِنَ اللَّهِ الْمُقُوبَةَ آجِلًا وَأَزْعَمُ أَنَّ الْأَمْرَ فِي يَدَيْهِ  
فَإِنِّي رَأَيْتُ الْمُلْحِدِينَ تَعُودُهُمْ نَدَامَتُهُمْ عِنْدَ الْأَكْفِ الْوَلَوَّاحِدِ

ليت شعري كيف يُرْمَى بالإلحاد من يخاطب الملحدين بمثل هذا الكلام ؟ وفيهم يقول أيضا :

أَمَّا الْمُجَاوِرُ فَارَعَهُ وَتَوَقَّهْ وَأَسْتَغْفِرَ رَبِّكَ مِنْ جَوَارِ الْمُلْحِدِ  
لَيْسَ الَّذِي جَعَدَ الْمَلِيكَ وَقَدْ بَدَتْ آيَاتُهُ بِأَخْرِ لِمَنْ لَمْ يَجْعَدْ

ويقول :

إِذَا سَمَاءُ أَلْحَدَتْ أَمَّ بِجَهْلٍ فَقَابِلَهَا بِتَوْحِيدِ السُّيُوفِ  
كَأَنَّا فِي سَجَايَانَا نُقُودٌ كَثِيرَاتُ الْبَهَارِ وَالزُّيُوفِ  
وَهَذِي الْأَرْضُ لِلدَّيْلِ الْمُرْجَى نَلِّمُ بِهَا كَالْمَامِ الضُّيُوفِ

وقال :

تَعَالَى اللَّهُ كَمْ مَلِكٍ مَهِيْبٍ      تَبَدَّلَ بَعْدَ قَصْرِ ضَيْقٍ لَخْدِي  
أَقْرَبُ بَابٍ لِي رَبًّا قَدِيرًا      وَلَا أَلْقَى بَدَائِعَهُ بِجَحْدِي

وقال :

بَوَّخْدَانِيَّةٍ أَلَسَّامِ دِنًا      فَذَرْنِي أَقْطَعُ الْأَيْتَامَ وَخْدِي  
سَأَلْتُ عَنِ الْحَقَائِقِ كُلِّ قَوْمٍ      فَمَا أَلْفَيْتُ إِلَّا حَرْفَ جَحْدِي  
سِوَى أَنِّي أَرْوُلُ بِغَيْرِ شَكٍّ      فِي أَيِّ الْبِلَادِ يَكُونُ لَخْدِي

وقال :

وَلَقَدْ وَجِدْتُ وَلَاءَ قَوْمٍ سُبَّةٍ      فَأَصْرِفْ وَلَاءَكَ لِلْقَدِيمِ الْمُوجِدِ

وقال :

بِاسْمِهِنَّ بِالْجَهْلِ عَبْدَ الرَّحِيمِ      وَعَبْدَ الْعَزِيزِ وَعَبْدَ الصَّمَدِ  
وَمَا بَلَغُوا أَنْ يَكُونُوا لَهُ      عَبِيدًا وَذَلِكَ أَقْصَى الْأَمَدِ  
وَلَكِنَّهُ خَالِقُ الْعَالَمِينَ      نَ ذَائِبِ أَجْزَائِهِمْ وَالْجَمَدِ  
تَعَمَّدَهُ يُغْنِيكَ بِالْهَدْيِ أَنْ      تُدْرَسَ مُغْنِيَهُمْ وَالْعُمَدِ

المغني ، والعمد : كتابان أحدهما في علم الكلام ، والآخر في الأصول ، وهما للقاضى عبد الجبار بن أحمد ، من كبار أئمة المعتزلة ، المتوفى سنة خمس عشرة أوست عشرة وأربعمائة . ولأبى محمد عبد الله بن العباسى الرامهرمى المعتزلى كتاب اسمه المغنى أيضاً ، إلا أن ذكره مقروناً بالعمد يدل على أن المراد الأول .

وقال أبو العلاء :

كَمْ غَيَّرْنَا بِأَمْرِ خُطِّ حَادِثَةٍ      وَرَبَّنَا اللَّهُ لَمْ تُلْمِ بِهِ الْغَيْرَ

وقال .

مَا زَالَ رَبُّكَ ثَابِتًا فِي مُلْكِهِ يَنْمِي إِلَيْهِ لِلْعِبَادِ جُورًا

وقال :

وَالْجَهْلُ أَغْلَبُ غَيْرَ عِلْمٍ أَنَّنَا نَفَى وَيَبْقَى الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ

وقال في الإقرار بالذنوب من قطعة :

غُفْرَانَ رَبِّكَ قَلَّ مَا فَعَلَ الْفَقَى مَا لَيْسَ مُخَوِّجُهُ إِلَى اسْتِغْفَارِ

صدق والله ، فغفرانك اللهم . وقال :

رَجَزَتْ بِتَسْبِيحِ الْمَلِكِ حَمَامَةٌ بِالشَّامِ تُوْطِنُ أَوْ تَحُلُّ حِجَازًا

وَالطَّيْرُ مِثْلُ الْإِنْسِ تَعْرِفُ رَبَّهَا وَتَرَى بِهَا الشُّعْرَاءَ وَالرُّجَازَا

وقال في معناه :

سَبَّحَ اللَّهُ نَاعِبٌ ، صَوْتُهُ : غَا قِ ، وَكُذْرِيَّةٌ تَصِيحُ : قَطَا

وقال :

صَنَعَتْ عَزَّتِ الْأَنَامَ بِلُطْفِ وَعَزَّتْهَا إِلَى الْقَدِيرِ الْعَوَازِي

مَلِكٌ أَنْشَأَ السَّمَوَاتِ فَالْبَدُ رُ لَدَيْهِ فِي صُورَةِ الْجُلُوزِ

كَمْ لَهُ كَوْكَبٌ أَبْرَهُ وَأَزَّ النَّاسَ حَتَّى سَطَا عَلَى أَبْرُوازِ

وقال :

لَنَا رَبٌّ وَلَيْسَ لَهُ نَظِيرُ يُسَيِّرُ أَمْرَهُ جَبَلًا وَيُرْسِي

تَظَلُّ الشَّمْسُ مَا هِنَةً لَدَيْهِ فَمَا بَلَقِيسُ أُمَّ مَاسِتَ بَرَسِ

وقال :

إِذَا كُنْتَ بِاللَّهِ الْمُهَيِّمِ وَائْتَقَا فَسَلِّ إِلَيْهِ الْأَمْرَ فِي اللَّفْظِ وَاللَّحْظِ

يُدَبِّرُكَ خَلْقُ يُدِيرُ مَقَادِرًا      تُخَطِّيكِ إِحْسَانِ الْغَنَائِمِ أَوْ تُحْطِي

وقال :

وَسِرْتُ مُعْمَرِي إِلَى قَبْرِ عَلَى مَهَلٍ      وَقَدْ دَنَوْتُ فَحَقُّ الْخَوْفِ وَالْهَلَكِ  
مَا نَحْنُ أَمْ مَا بَرَايَا عَالَمٍ كَثُرَ      فِي قُدْرَةِ بَعْضِهَا الْأَفْلَاكُ يَبْتَلِعُ

وقال :

نَدِينُ بِأَنَّ اللَّهَ وَثَرٌ وَخَوْفُهُ      رَشَادٌ فَصَلُّوا الْوِثْرَ فِي الدَّهْرِ وَالشَّفَعَا

وقال :

الْأَرْضُ لِلَّهِ مَا اسْتَحْيَى الْخُلُولُ بِهَا      أَنْ يَدْعَوْهَا وَهُمْ فِي الدَّارِ أَضْيَافُ  
تَنَازَعُوا فِي عَوَارِي قَبِيلِهِمْ      نَبَلٌ حُطَامٌ وَأَرْمَاحٌ وَأَسْيَافُ  
إِنْ خَلَقُوكَ وَلَمْ يَجْرُدْ خِلَافُهُمْ      شَرًّا فَلَا بَأْسَ إِنْ النَّاسُ أَخْيَافُ

أخياف : أى مختلفون ، ومنه : إخوة أخياف ، إذا كانت أهم واحدة  
وأباؤهم شتى ؛ فإذا كانوا لأب واحد من أمهات شتى ، قيل : هم أبناء علات .

وقال فى معنى ما تقدم :

هُوَ أَلْمَلِكُ الدَّوَارُ أَجْرَاهُ رَبُّهُ      عَلَى مَا تَرَى مِنْ قَبْلِ أَنْ تَجْرِيَ أَلْمَلِكُ  
لَهُ الْعِزُّ لَمْ يَشْرِكْهُ فِي أَلْمَلِكِ غَيْرُهُ      فَيَجْهَلُ إِنْسَانٌ يَقُولُ : لِي أَلْمَلِكُ

ومثله قوله :

وَيَقُولُ دَارِي مَنْ يَقُولُ وَأَعْبُدِي      مَعَهُ فَتَعْبِيدُ رَبِّكَ وَاللَّارُ

وقوله أيضا :

وَأَلْمَلِكُ لِلَّهِ مَنْ يَطْفَرُ بِنَيْلِ غَنَى      يَرُدُّهُ قَسْرًا وَتَضْمَنُ نَفْسُهُ الدَّرَكَ  
لَوْ كَانَ لِي أَوْ لغيري قُدْرُ أَنْتَلِ      مِنْ التُّرَابِ لَكَانَ الْأَمْرُ مُشْتَرَكَا

ذكر الإسحاقى فى تاريخه أن السلطان سليما العثمانى لما فتح مصر نزل بالروضة فى مكان أعد له بالمقياس ، ونقل عن القطبى أنه رأى هذين البيتين مكتوبين بخطه بأعلى المقياس على الرخام الأبيض كتابة خفية لا تكاد تظهر إلا بالتأمل ، ومرقوم تحتها : كتبها الفقير سليم . ثم قال : ولعمري إن كان هذان البيتان من نظم المرحوم فهما فى غاية البيان والبراعة ، ونهائية فى الشعر العربى الفصيح المنسجم ؛ وإن كان تمثل بهما فهما أيضاً مرتبة عالية فى حسن التمثيل ولطف الاستحضار . انتهى . قلت : أما كونهما له فقد ثبت خلافه ؛ فلم يبق إلا أنه تمثل بهما . وما هو بكبير على فضل هذا السلطان وإطلاعه . وسلاطين آل عثمان ، وإن اشتهر عنهم قلة الاهتمام باللغة العربية ، فقد نبغ منهم جماعة فيها . منهم : السلطان محمد الفاتح ؛ وفضله فى الاشتغال بالعربية غير منكور . ومن شيوخه المولى خواجه زاده ، قرأ عليه متن عز الدين الزنجانى فى التصريف ؛ وكانت العلماء تجتمع عنده للمناظرة ، وتعجبه مباحثاتهم . ويحكى أنه كان فى صفه غير مهتم بالطلب ، فأمر والده السلطان مراد المولى شمس الدين الكورانى بالتشديد عليه ، فصدع بأمره ، حتى ضربه مرة ضرباً موجعاً ، ولم يزل به حتى ختم القرآن الكريم فى مدة يسيرة . ومنهم : السلطان مراد الثالث ابن سليم المتوفى سنة ١٠٠٣ . كان أجمل أهل بيته علماً وأدباً وذكاً وفهماً . اشتغل بالتصوف وبرع فيه ، ونظم الشعر باللغات الثلاث : الفارسية والتركية والعربية . ومنهم : السلطان أحمد بن محمد حفيد السلطان مراد المار ذكره . كان من فضلاء وقته ، مال للأدب والمحاضرات ، ونظم الشعر بالتركية . ومما يروى له من الشعر العربى قوله :

ظَنِيَّ يَصُولُ وَلَا وُصُولَ إِلَيْهِ جَرَحَ الْفُؤَادَ بِصَارِمِي لَحْظِيهِ

مَا قَامَ مُعْتَدِلًا وَهَزَّ قَوَامَهُ إِلَّا تَهْتَكْتَ السُّتُورَ عَلَيْهِ  
يَسْقَى الْمَدَامَةَ مِنْ سُلَاقَةِ رِيْقِهِ وَيَخْضُنَا بِالْفُنُجِ مِنْ جَفْنِيهِ  
عَيْنَاهُ نَرْجِسُنَا وَآسُ عِذَارِهِ رِيْحَانُنَا وَالْوَرْدُ مِنْ خَدَّيْهِ  
يَاشَعُرُ فِي بَصَرِي وَلَا فِي خَدِّهِ إِنِّي أَغَارُ مِنَ النَّسِيمِ عَلَيْهِ  
عَجَبِي لِسُلْطَانٍ يُعْرِئُ بَعْدْلِهِ وَيَجُورُ سُلْطَانُ الْغَرَامِ عَلَيْهِ  
لَوْ لَا أَخَافُ اللَّهَ ثُمَّ جَحِيمُهُ لَعَبْدَتُهُ وَسَجَدْتُ يَنْ يَدَيْهِ

والبيتان الأخيران من قصيدة لابن رزيك الشيعي ، أتى بهما السلطان على

سبيل التضمين .

### رَجَعَ إِلَى شِعْرِ أَبِي الْعَلَاءِ

فمن دلائل إيمانه بالله ، وتفويضه الأمر إليه ، قوله :

رَدَدْتُ إِلَى مَلِكِ الْخَلْقِ أَمْرِي فَلَمْ أَسْأَلْ مَنِّي يَقَعُ الْكُفُوفُ  
فَكَمَ سَلِمَ الْجَهْلُ مِنَ الْمَنَابَا وَعُوجِلَ بِالْحِمَامِ الْفَيْلَسُوفُ  
وقال :

وَالرُّوحُ طَائِرُ نَجِسٍ فِي سِجْنِهِ حَتَّى يَمُنَّ رَدَاهُ بِالْإِطْلَاقِ  
سَيَمُوتُ مُحَمَّدٌ وَيَهْلِكُ آلُكَ وَيَدُومُ وَجْهُ الْوَاحِدِ الْخَلَاقِ

وقال :

أَزُولُ وَلَيْسَ فِي الْخَلْقِ شَكٌّ فَلَا تَبْكُوا عَلَيَّ وَلَا تُبْكُوا  
خُذُوا سِيرِي فَهِنَّ لَكُمْ صَلَاحٌ وَصَلُّوا فِي حَيَاتِكُمْ وَزَكُّوا

وقال :

نَسَمْتُ رِجَالَ الْمُلُوكِ سَفَاهَةً وَلَا مُلُكَ إِلَّا لِلَّذِي خَلَقَ الْمُلُوكَا

أَرَىٰ فَلَكُمَا مَا دَارَ إِلَّا لِحِكْمَةٍ فَلَا تَنْسَ مَنْ أَجْرَىٰ لِحَاجَتِكَ الْفُلُكُمَا

وقال :

إِنْ يُرْسِلِ النَّفْسَ فِي اللَّذَاتِ صَاحِبَهَا فَمَا يُخَلِّدُنَ صُعْلُوكًا وَلَا مَلِكًا  
وَمَنْ يُطَهِّرُ بِخَوْفِ اللَّهِ مُهْجَتَهُ فَذَاكَ إِنْسَانٌ قَوْمٌ يُشْبِهُهُ الْمَلِكَا

وقال :

شِفَاءُ مَا بِكَ أَعْيَانِي وَأَعْيَاكَ مَالِي أَرَاكَ غَبِيًّا لَسْتَ تَقْدِرُ أَنْ  
تُخْصِيَ خُطَاكَ فَهَلْ تُخْصِي خَطَايَاكَ

وقال :

يَا خَالِقَ الْبَدْرِ وَشَمْسِ الضُّحَىٰ مَعْوَلِي فِي كُلِّ حَالِي عَلَيَّكَ  
وَكُلُّ مَلِكٍ لَكَ عَبْدٌ وَمَا يَبْقَىٰ لَهُ مُلْكٌ فَيُدْعَىٰ مُلْكُكَ  
قَدْ رَامَتِ النَّفْسُ لَهَا مَوْئِلًا فَقُلْتُ : مَهْلًا، لَيْسَ هَذَا إِلَيْكَ  
إِنَّ الَّذِي صَاغَكَ يَقْضِي بِمَا شَاءَ وَيُمْضِي فَازْجُرِي عَاذِلَيْكَ  
الْبَحْرُ فِي قُدْرَتِهِ نَغْبَةٌ وَالْفَلَاحُ الْأَعْظَمُ فِيهَا فَلَيْتَكَ

وقال :

إِلَهَ الْأَنْامِ وَرَبَّ الْغَمَامِ لَنَا الْفَقْرُ دُونَكَ وَالْمُلْكُ لَكَ

وقال :

فَلَا تَسْأَلِ الْمَرْءَ الْغِنَىَّ عَطَاءُهُ وَرَجَّ الْغِنَىَّ مِنْ رَبِّكَ الْمُتَعَالَى

وقال :

أَمَا تَرَىٰ الشَّهْبَ فِي أَفْلَاكِهَا أَنْتَقَلَّتْ بِقُدْرَةٍ مِنْ مَلِيكَ غَيْرِ مُنْتَقِلٍ

وقال :

نَمُوتُ لِأَنَّنَا خُلَفَاءُ نَقْصٍ وَيَبْقَىٰ مَنْ تَفَرَّدَ بِالسَّكَمَالِ

وقال :

حِكْمٌ تَدُلُّ عَلَى حَكِيمٍ قَادِرٍ مُتَفَرِّدٍ فِي عِزِّهِ بِكَمَالٍ

وقال :

تَوَهَّمْ بَعْضُ الْقَوْمِ وَهْمًا فَأَصْلَوْا يَتَّبِعْنَ أُمُورَ بَاتٍ يَتَّبِعُهَا الْوَهْمُ  
جَهْلُنَا ، وَلَكِنْ لِلْخَلَائِقِ صَانِعٍ أَقْرَبُ بِهِ فَسَلُّ مِنْ الْقَوْمِ أَوْ شَهْمُ

وقال في رد تأثير الأشياء لله تعالى :

وَقَدْ يَأْمُرُ اللَّهُ أُلُكْهُمَ إِذَا نَبَا فَيَفْرِى وَقَدْ يَنْهَى الْخُسَامَ فَيَكُفُّهُمْ

وزاد هذا المعنى وضوحا بقوله وأجاد :

لَوْ يَنْطِقُ السَّيْفُ نَادَى لَيْسَ لِي عَمَلٌ قَضَى مَالِكُ الْأَفْلَاكِ أَنْضَانِي  
مَتَى أَرَادَ فَصَفَحَايَ اللَّذَانِ هُمَا بِحَرُّ الرَّدَى مِنْ حَيَاضِ الْمَوْتِ حَوْضَانِي  
وَإِنْ كَهَمْتُ فَأَمْرُ اللَّهِ أَكْهَمَنِي وَإِنْ مَضَيْتُ فَأَمْرُ اللَّهِ أَمْضَانِي

وقال :

مَا فِي بَنِي آدَمَ غِنًى بَلْ كُلُّهُمْ مُقْتَرٌ عَدِيمٌ  
يَغْنَى الَّذِي مَالُهُ فَنَاءٌ وَذَلِكَ الْوَاحِدُ الْقَدِيمُ

وقال :

رَأَيْتُ سَجَايَا النَّاسِ فِيهَا تَظَالُمٌ وَلَا رَيْبَ فِي عَدْلِ الَّذِي خَلَقَ الظُّلُمَا

وقال :

فَسَادٌ وَكَوْنٌ حَادِثَانِ كِلَاهُمَا شَهِيدٌ بَأَنَّ الْخَلْقَ صُنْعُ حَكِيمٍ

وقال :

أَبِ الْقَدَرِ الْمَتَّاحِ تَدِينُ جِنَّ تَسْمَعُ غَيْرَ هَائِبَةِ الرُّجُومِ



وَتَعْلَمُ أَنَّ مَا لَمْ يُقْضَ صَعْبٌ  
بِإِذْنِ اللَّهِ يَنْفُذُ كُلُّ أَمْرٍ  
يَجُوزُ بِحُكْمِهِ مَوْتُ الثُّرَيَّا  
وَكَمْ وَجَمَ الْفَقَى مِنْ بَعْدِ ضِحْكَ  
وَقَالَ :

إِذَا مَدَحُوا آدَمِيًّا مَدَحَ  
وَذَاكَ الْغَنَى عَنِ الْمَادِحِينَ  
لَهُ سَجَدَ الشَّامِخُ الْمُسَخِرُ  
وَمَغْفِرَةُ اللَّهِ مَرْجُوءَةٌ  
وَقَالَ :

أَدِينُ رَبِّ وَاحِدٍ وَتَجَنَّبِ  
قَبِيحَ الْمَسَاعِي حِينَ يَظْلِمُ دَائِنُ  
وَقَالَ :

إِذَا مَا شِئْتُمْ دَعَا وَخَفَضًا  
وَلَا يُعَقِّدُ لَكُمْ أَمَلٌ بِخَلْقِ  
وَقَالَ :

مَطِيعِي الْوَقْتُ الَّذِي مَا امْتَطَيْتُهُ  
وَمَا أَحَدٌ مُعْطَى وَاللَّهُ حَارِمِي  
وَقَالَ :

لَعَمْرِي لَخَيْرُ الذُّخْرِ فِي كُلِّ شِدَّةٍ  
وَلَا مُلْكٌ إِلَّا لِلَّذِي عَزَّ وَجْهُهُ  
إِلَهُكَ تَرْجُو فَضْلَهُ وَأَلَاهُ  
وَدَامَتْ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ عِلَاهُ

وقال :

تَهَجَّدَ مَعَشَرٌ لَيْلًا وَنَمْنَا      وَفَازَ بِحِنْدِسٍ مُتَهَجِّدُوهُ  
إِلَهُكَ أَوْجَدَ الْأَشْيَاءَ جَمْعًا      فَلَا يَفْخَرُ بِشَيْءٍ مُوَجِّدُوهُ  
وَرَبُّكَ أَنْجَدَ الْأَقْوَامَ حَتَّى      بَنَى أَعْلَى الْقُصُورِ مُنْجِدُوهُ  
فَمَجَّدُوهُ فَلَمْ يَخْسَرْهُ أَنْفَسٌ      أَنْابُوا إِلَيْكَ وَمَجَّدُوهُ

ولنختم هذا الفصل بقوله :

تَشَابَهَتْ الْأَشْيَاءُ طَبْعًا وَصُورَةً      وَرَبُّكَ لَمْ يُسْمَعْ لَهُ بِشَبِيهِ

هذه أقوال من يتهمه المتخردون بإنكار الإله ، سقناها إليك لتكرر النظر فيها المرة بعد المرة ، ثم نكلك إلى محاسبة نفسك ، ومحاكمة فكرك ؛ هل ترى فيها غير التوحيد والتنزيه ، وإجلال اسمه تعالى ، والطمع في رحمته ، والخوف من عقابه ، والحض على التقوى ، والإنكار على الملحدين ؟

ولا نخالك بعد ذلك إلا منصفه ، إن كنت من المحاصنين .

## فصل فى معتقده فى النبوات والرسل

يتهم الكثيرون أبا العلاء بمجحد النبوات ، وعدم الإيمان بالبعث والنشور ؛ وكثيراً ما يعتمدون تحريف كَلِمِهِ ، أو صرف ظاهره إلى غير مراده ، افتياتاً عليه ، وانتصاراً لمدعاهم . فضلاً عما وضعوه على لسانه من الكذب والبهتان ، كما أثبتته نَقْلَةُ أخباره . وقد مر بك حديثه مع القاضى المنازى ، وكيف اقتضبه الرواة ليثبتوا إلحاده وإنكاره للآخرة . ونقل ياقوت والسلوى عن القاضى أبى يوسف عبد السلام القزوينى أنه قال : « قال لى المعرى : لم أهج أحداً قط . فقلت : صدقت ، إلا الأنبياء عليهم السلام ! فتغير لونه . أو قال : وجهه . اهـ » ولا أدرى ماذا يثبت به هذا الحديث أو ينفيه .

وإليك ما ذكره العلامة ابن الوردى فى تمة المختصر ، وهو من أدق الباحثين فى أمره . قال : « قال لى يوماً بعض أصحابى من الأمراء ذوى الفهم : كيف كان أبو العلاء فى اعتقاد البعث ؟ فأنشدته قوله :

فَيَا وَطَنِيْ إِنْ فَاتَنِيْ مِنْكَ سَابِقٌ      مِنْ الدَّهْرِ فَلْيَنْعَمْ إِسَّا كَيْنِكَ الْبَالُ  
وَإِنْ أَسْتَطِعْ فِي الْحَشْرِ آتِكَ زَائِراً      وَهَيْهَاتَ ، لِيْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَشْغَالُ

وبلغنى أن بعضهم زعم أن أبا العلاء كان ينكر النبوات ، فهذا مردود بقول أبى العلاء :

عَجِبْتُ وَقَدْ جُرْتُ الصَّرَاةَ رِفْلَةً      وَمَا خَضِلْتُ مِمَّا تَسْرُبَاتِ أَذْيَالُ  
أَعْنَمْتُ إِلَيْنَا أُمُّ فِقَالِ بْنِ مَرْيَمَ      فَعَلْتُ ، وَهَلْ يُعْطَى الشُّبُوءَةُ مِكَسَالُ

وقوله فى شريف :

يَا ابْنَ الدِّيِّ بِلِسَانِهِ وَبَيَانِهِ      هُدَى الْأَنَامُ وَنُزُلَ التَّنْزِيلِ

عَنْ فَضْلِهِ نَطَقَ الْكِتَابُ وَبَشَّرَتْ بِقُدُومِهِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ

وقال في الشريف أبي إبراهيم العلوي الموسوي :

يَا ابْنَ مُسْتَعْرِضِ الصُّفُوفِ بِمَدْرٍ وَمُسَيِّدِ الْجُمُوعِ مَنْ غَطَفَانِ  
أَحَدِ الْحَسَنَةِ الَّذِينَ هُمْ الْأَعْنَ رَاضٍ مِنْ كُلِّ مَنْطِقٍ وَالْعَانِي  
وَالشَّخْصِ الَّذِي خُلِقَ خُصِيَاءَ قَبْلَ خَلْقِ الْمَرِيخِ وَالْمِيزَانِ  
قَبْلَ أَنْ تُخْلَقَ السَّمَوَاتُ أَوْ تُنَا مَرَّ أَفْلَاكُهُنَّ بِالْذُّرَابِ  
وَأَفَقَ اسْمُ ابْنِ أَحْمَدَ اسْمَ رَسُ وَلِ اللَّهِ لَمَّا تَوَافَقَ الْمَعْنِيَانِ  
يَا أَبَا إِبْرَاهِيمَ قَصَّرَ عَنْكَ الشَّ مَرُّ لَمَّا وَصِفَتْ بِالْقُرْآنِ  
أَشْرَبَ الْعَالَمُونَ حُبَّكَ طَبْعًا هَوَوْ قَرَضُ فِي سَائِرِ الْأَذْيَانِ

وقوله :

أَيَدْفَعُ مُعْجَزَاتِ الرُّسُلِ قَوْمٌ وَفِيكَ وَفِي بَدِيهِتِكَ أَعْتَبَارُ

انتهى كلام ابن الوردى . وما ذكره من الشعر منقول من سقط الزند .  
ولقائل أن يقول ما لكم تنتصرون للرجل بكلامه في سقط الزند ، وهو لم يقصد  
به بياناً لمذهبه ، أو شرحاً لمعتقده ، بل جرى فيه مجرى الشعراء في أفانينهم  
الشعرية ، وأخرجه مخرج هيامهم في كل واد من القول وضرب من الخيال ؛  
وهم كما تعلمون يجوزون الكذب ، ويقولون ما لا يفعلون ؛ فشأنه في ذلك شأنهم  
ودعواه دعواهم ؛ فإذا مدح شريفاً لم يكن له بد من تقديس آبائه ، والإقرار  
لجدهم عليه الصلاة والسلام بالنبوة والرسالة ، تعظيماً لشأن المدوح ؛ كما لا مندوحة  
له في الرثاء عن وصف ما لقيه المرثي من التكريم في جنات النعيم ، ليكون قوله  
مقبولاً لدى من يخاطبهم ، وأدعى للحظوة عندهم ، وإن لم يكن هو معتقداً له .

وما يقال في هذا يقال في غيره ، وإلا للزمكم أنه كان على غير ما تدعون له من الزهد والتقوى ، لما أثبتته في هذا الديوان من الغزل والتشبيب وبكاء الشباب والفخر ، وهي والزهد على طرفي نقيض . فلو اقتصرتم على ما في لزوم ما لا يلزم ونحوه من الكتب التي وضعها لبيان فلسفته وآرائه ، لسلتم من مثل هذا النقد . ونقول في رد ذلك : ربما كان لما ذكرت وجه من الصحة ، إلا أنا لما رأيناكم أخذتم الرجل على بعض ما جاء في هذا الديوان ، واستدريجتم به إلى الطعن في عقيدته ، مع أنه لا يخرج عن الغلو المألوف للشعراء كما بيناه آنفاً — استعجزنا أيضاً أن نحجكم بما جاء فيه من صريح ذكر الحشر ، والإيمان بالرسول وإثبات المعجزات لهم عليهم السلام . وشتان ما بين حجتينا . على أن ما ادعيتموه لا يصح الحكم به على مطلق شعر يقوله الشاعر ، وإلا فالويل للشعر والشعراء بعدئذ .

\*\*\*

وبعد ، فإننا لم نحكم لأبي العلاء بصحة إيمانه بالرسول والنبوات إلا من أقواله المثبتة لذلك ، المصرحة به . فلا ريب في أن ما يؤم في ظاهره نقيضها من أقواله الأخرى ، مؤول بما يحتمله لفظه ؛ وكثير منها لم يرد به الطعن على الأديان نفسها ، بل أراد أهلها ومستحليها ، لتفريطهم فيها أو إفراطهم ، كما صرح به في أقوال أخرى ، سنأتي عليها في هذا الفصل .

وقد رأيت بعض المتعصبين عليه يظهر بالبيت الموهم ، فيرويه فذاً من غير نظر لما قبله أو بعده . ولو تدبر ذلك لظهر له مراده ، ولم يجد سبيلاً للطعن عليه . على أنا مع هذا لا نبرئه رحمه الله من بعض سقطات زل بها لسانه ، ليس فيها جحد للنبوات ، ولكن ذكرها لا يخلو من شناعة . فكان الأولى له التفادي عن نظرها في هذا السمت . ولا مشاحة في عذر من أنكر عليه فيها ، وإنما

كلامنا فيمن يرميه بالإلحاد ، وهو براء منه ، بدليل ما ذكرناه من كلامه وما سند كره .

\*\*\*

أما من استدل على إنكاره النبوات ، وتحكيمه العقل في التحسين والتعبيح ، بقوله :

عَلِمَ الْكَائِنَاتِ فِي كُلِّ وَجْهِ أَوَّلَ عِنْدَهُ السَّمَاءُ صَبِيءٌ  
خَالِقُ النَّبَاتِ مَا يَتَغَايَ أَوْ عَبْدُ لَكِنَّهُ ضَعِيفٌ غَبِيءٌ  
أَيُّهَا الْغَرُّ إِنْ خُصِصْتُ بِعَقْلِ فَاسْأَلْنَهُ فَكُلُّ عَقْلٍ نَبِيٌّ

فقد أخطأ المرمى ، ونكب عن سبيل القصد ، فإن مراده بقوله « فكل عقل نبي » أن العقل كاف في الإخبار والدلالة على وجود صانع لهذه الكائنات ، ولا عذر للعبد في جهله بخالقه ، ما دام له عقل ينظر به ويستخبره ، كما يدل عليه سياق الأبيات عند التأمل .

وهذه المسألة من المسائل التي قام فيها الخلاف بين أئمة الكلام ، وانقسم فيها أهل السنة إلى قسمين . فذهب جمهور الماتريدية وعامة مشايخ سمرقند إلى أنه تعالى لو لم يبعث للناس رسولا لوجب عليهم بمقولهم معرفة وجوده تعالى ووحدته واتصافه بما يليق به من الحياة والعلم والقدرة وغيرها ، وكونه محدثا للعالم ؛ وهو أيضاً أرجح قولى الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه . وذهب جمهور مشايخ الأشاعرة إلى أنه لا يجب إيمان ولا يحرم كفر قبل بعث الرسل . ولا يرد على الأول أنه لو كان العقل حجة كافية ما أرسل الله الرسل ، ولا كفى به ؛ لأنه يقال في جوابه : لما كان أمر البعث والجزاء مما يشكل على العقل وحده ، إلا بعظيم تأمل فيه ، وكذلك أنواع العبادات والحدود ونحوها لا تنال بمجرد العقل — كان إرسال

الله تعالى رسله وإنزال كتبه ، لبيان ذلك . وأصل الخلاف إنما هو في الإيمان بالله ، لا في أحكام الشرائع . فإن قيل لو كان العقل كافياً في ذلك لاقتصرت الشرائع على بيان ما ذكرتم ، ولم تتعرض لأحكام الإيمان بالله تعالى وتنزيهه ، واتصافه بصفاته اللائقة ونحوها ، اكتفاء بدلالة العقل عليها . قلنا : كان ذلك لزيادة التمكين وتمة البيان ، من قبيل توارد الأدلة وتعاقبها . فإنه تعالى لم يدعنا والبيان بآية واحدة ، بل مَنْ عَلَيْنَا سُبْحَانَهُ بآيات متكررة . وكذلك لم يدعنا ورسولاً واحداً من أول الأمر إلى آخره ، والحجة كانت قائمة بالواحد ، كما بقيت بنبيينا عليه الصلاة والسلام إلى القيامة ؛ فلا يدل ذلك على أن الرسول الواحد أو الآية الواحدة لم يكونا حجة كافية .

هذا محصل ما ذكره في هذا المقام ، ولكل من الفريقين أدلة من الكتاب والسنة يحتاج بها لمذهبه ، فاطلبها إن شئت في كتب الكلام ، خصوصاً فيما ألف منها في الخلاف بين الماتريدية والأشعرية ؛ وانظرها أيضاً في كتب التفسير عند قوله تعالى : « وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً » .